

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل



قلعة الصقور



www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة
المحامات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. ليل فاروق

١ - الزيارة ..

مالت الشمس إلى الغروب ، وألقت ضوءها الشاحب
الآخر على تلك البناية الأنيقة ، التى تحتل ناصية كاملة ،
لشارعين هادئين ، إلى حى (مدينة المهندسين) ، فى قلب
(القاهرة الكبرى) ، وتطلعت سيّدة تميل إلى البدانة ، فى
أواخر الأربعينات من عمرها ، تشق ملامحها عن جمال مثير فى
شبابها ، إلى سيارة صغيرة ، من طراز شائع الاستخدام فى
(مصر) ، توقفت أسفل البناية ، وهنفت بزوجها فى شغف ::
— يبدو أن جازنا الغامض سيقضى هذه الليلة فى شقته ،
على خلاف عادته .

سألتها زوجها فى خيرة :

— من تقصدين ؟

أجابته فى اهتمام :

— ذلك الوسم ، الذى يقيم فى الطابق السادس .

تجلس من مقعده ، واقتراب من حاجز الشُّرفة ، مغمضاً

— اتقصددين الأستاذ (أدهم) ؟

هتفت في شغف :

— نعم .. (أدهم صبرى) .

تطلع زوجها في إعجاب إلى (أدهم) ، الذى هبط من
سيارته في هدوء ، وغنم :

— إنه شاب ممتاز .

التفت زوجته إلى ابنتها الوحيدة (هيام) ، الطالبة بكلية
الآداب ، وهي تقول في اهتمام :

— إنه كذلك بالتأكيد .. أليس كذلك يا (هيام) ؟

هزت (هيام) كتفها في لامبالاة ، وهي تعغم :

— إننى أراه رجلاً عادياً

هتفت بها أمها في استكثار :

— كيف ؟!.. إنه شاب وسيم ، هادئ الطباع ، جم

التيديب ، ثم إنه رجل أعمال ، و

قاطعتها (هيام) في ضجر :

— إننى أكره هادئ الطباع ، فحياتهم — فى العادة —

حاملة ، تقتصر إلى الإثارة .

أجابتها أمها فى صرامة ، وهي تجلبها نحو حاجر النافذة :

— ولكنها حياة مستقرة ، خاصة وأنه شاب رقيق ، و

ولكنها ترفقها ، مستردة فى لحظة ذات مغزى :

— وغرب .

قلت (هيام) شفتها السفلى ، وهي تعغم :

— إنه ليس من ذلك النوع الذى يروق لى ، فأنا أكره الحياة

الخاملة .

قال والدتها ، وهو يتطلع إلى سيارة سوداء كبيرة ، توقفت

إلى جوار (أدهم) :

— إنه كثير الأسفار ، ويأول رياضة العدو كل صباح

هزت (هيام) كتفها ، وهي تأمل الرجال الثلاثة ،

الذين هبطوا من السيارة السوداء ، ووقفوا يتحدثون إلى

(أدهم) ، وهي تعغم فى استكثار :

— ليس هذا ما أقصده بالحياة المثيرة ، إن هذا الرجل ،

على الرغم من أسفاره المتعددة ، التى يجعل الجميع مبررها ،

ومزاولة لرياضة القوى ، فهو — على كل الأحوال —

هادئ ، حامل ، و

بوت غارثا بغتة ، وانسمت عنهاها فى دُغر ودُهل ،

وهي تهف فى انفعال :

— يا إلهي !! إنه يتقاتل مع هؤلاء الرجال ، و
 دعنا لاتتابع حديث (هيام) ، فهو لن يحصل سوى
 كلمات الدخشة والخبرة ، والوسيلة الوحيدة لفهم ذلك
 الموقف ، الذي رآته مع الدنيا ، هو أن نعود بضع دقائق إلى
 الوراء ، ثم نعود مرة أخرى إلى رواية الأحداث ، ولكن ...
 من زاوية جديدة .

أوقف (أدهم) سيارته الصغيرة أمام البناية ، وهو يطلق
 من بين شفتيه صغيرا منغوما ، يشف عن هدوء أعصابه ،
 وارتياحه ، بعد أن أوصل زميله (منى) — منذ لحظات —
 إلى منزلها ، وودعها بصارة عاطفية رقيقة ، استقبلتها بانتمامة
 عجل ، قبل أن تلوح له بكفها ، وتفر مع حيائها إلى منزلها .
 وهبط من سيارته في هدوء ، وهو بواصل إطلاق ذلك
 الصغير المنغوم ، وغغم في سخرية :

— عجبنا !! إني أشعر بالاشتياق الشديد لشفتي .
 يبدو أنني أفتنى في العمل وقتا أطول عادة .
 انقسم ، وهو يخطو نحو مدخل البناية ، ثم توقف فجأة ،
 حين سمع صوت سيارة تتوقف خلفه ، ورجل يشف به
 بالإنجليزية :

— لحظة يا مسر (أدهم) .

التفت (أدهم) إلى مصدر الصوت في هدوء ، ورأى أمامه
 ثلاثة رجال يعادرون السيارة ، وأحدهم يستطرد :
 — من حسن حظنا أن وجدناك .

دار بصر (أدهم) في وجوه الرجال الثلاثة ، وتوقفت
 عيناه عند تلك الانتفاحات الواضحة في ستراتهم ، والتي لم
 يغطي إدراك معناها . وهو يقول في برود :

— أظن أنه من الأفضل أن نخبري أولا من أنتم ؟ وماذا
 تريدون مني بالضبط ؟

امتدت يد الرجل نحو الانتفاخ الواضح في سترته ، وهو
 يحس :

— ستعرف ذلك حالا .

لم يحمله (أدهم) حتى تصل يده إلى ذلك الانتفاخ ، الذي
 يعني وجود مسدس معلق بذراعه ، خلف سترته ، وعاجله
 بلكمة قوية ، ألقت به أرضا ، ثم التفت نحو الرجلين
 الآخرين ، وارتفعت قدمه تركز أولهما في معدته ، وواصلت
 ارتفاعها ، لتترك نفس الرجل في فكه ، في تعاقب مذهل ،
 فائق السرعة ، ثم انحنى وهو يدور على عقيقه ، وبلكم الأخير

في فكه ، ويلقي به فوق مقدمة السيارة ، ثم عاد إلى الأول في حركة سريعة ، وجذبه من سترله ، وانتزع المسدس الذي يحمله أسفلها ، وصوبه إليه قائلاً في صرامة ساخرة :

— معذرة هذه المقاطعة البسيطة .. والآن ماذا كنت تريد ؟
غمغم الرجل في خنق :

— لقد أخطأت فهم الأمر ، إنني لم أكن أنوى التناط
مسدسي ، بأي حال من الأحوال ، وإنما كنت سأعطيك
بطاقتي ..

وأعقب قوله بأن التقط من جيب سترته الداخلي حافظة
جلدية صغيرة ، ناوها إلى (أدهم) ، الذي فتحها في سرعة ،
وألقى نظرة سريعة على صورة الرجل ، التي تتوسط بطاقة
بلاستيكية أنيقة داخل الحافظة ، وإلى تلك الشارة التي تحمل
الجانب الآخر كله ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

— هل تقصد أنك ... ؟

قاطعه صوت هادئ رصين ، من داخل السيارة :

— نعم .. إنه أحد رجالى يا مستر (أدهم) ..

رفع (أدهم) عينه إلى صاحب الصوت في سرعة ،
وأدهشه أنه لم يلحظ وجوده داخل السيارة من قبل ، ثم

لم يلبث أن فهم كل شيء ، فقد كان ذلك الكهل ، الذي يحتمل
في مقعد السيارة الخلفي ، هو (توماس ألبى) .. رئيس جهاز
المخابرات المركزية الأمريكية ..

هتف والد (هيام) في دهشة ، وهو يشير إلى ما حدث :
— أهذا هو الذي تضم حياته بالحمول ؟

أجابته ابنته في صوت لاهث ، من فرط الإثارة والانفعال :

— يا له من رجل !! هل رأيت كيف أطاح بالرجال الثلاثة في

لحظات يائى ؟ .. هذا هو الطراز الذي يزوق لى من الرجال ..

عقدت أمها حاجبيه ، ومطت شفها ، وهي تغمغم :

— والذي لا يزوق لى ..

تألفت عينا (هيام) ، وهي تتطلع إلى (أدهم) في

إعجاب ، دون أن تلبث بثت ثقة ، على حين هتف والدها في

دهشة :

— يا إلهى !! ماذا يحدث هنا بالضبط ؟ .. لقد خرج رجل

رابع من السيارة .. إنه كهل وقور ، والسيد (أدهم) يصفح

أربعتهم في هدوء ، بعد أن أشع ثلاثة منهم ضرباً .. أى جنون

هذا ؟!

غمغت (هيام) في البهار :

— ليس جنونا يا أبني ، بل هناك سرٌ غامضٌ خلف كل هذا .

وصمت لحظة ، ثم أردفت في شغف :

— أراهنكما أن جارتنا السيّد (أدهم صبرى) لا يحيا حياة

عادية .

غمغم والدها محرّضا :

— إنه رجل أعمال يائسٌ ، و

قاطعه في لغة :

— أى نوع من الأعمال ؟

غمغم في دهشة :

— ماذا تقصدين ؟

أجابه في حماس :

— إن أحدا في بنايتنا كلها ، لا يعلم أى عمل يزاول السيّد

(أدهم) بالضبط .. كل ما تعلمه هو أنه رجل أعمال ، كثير

الأسفار ، قلما يتواجد في منزله ، ولكن أى نوع من الأعمال

هذا ؟ لا أحد يعلم ..

غمغم والدها في خيرة :

— ربما كان تاجرا ، أو

قاطعه في الفعل :

— أو ماذا ؟ .. وآية تجارة يزاول ؟

هز والدها كتفيه في خيرة ، وهو يفتخر عن إجابة سؤالها ،

فعدت عيناهما تتألفان بالإثارة ، وهى تقول في الفعل والبهار :

— كلاً يا والدى .. إن السيّد (أدهم صبرى) يزاول

عملاً بالغ الخطورة ، ويحتاج إلى السريّة الكاملة .. إنه رجل

من نوع خاص ..

جلس (أدهم) فوق مقعد وثير أبيض ، في ركن راحة منزله ،

وتطلّع إلى وجه (توماس ألى) في هدوء ، وهو يسأله :

— هل لى أن أعرف سرّ زيارة رئيس المخابرات المركزية

الأمريكية ، لمواطن مصرى بسيط مثلى ؟

عقد (توماس ألى) حاجبيه الأسيين الكئيبين في ضيق ،

وهو يقول :

— سأظاھر بأنى لم أسمع عبارة (مواطن مصرى بسيط)

هذه يا مسر (صبرى) ، فحين تعلم أنك رجل مخابرات مصرى ،

ولدينا ملف كامل عنك ، تتحدّ كل صفحة فيه أنك رجل فذ ، من

طراز فريد وبادر ، كنا ومازلنا نشوق إلى مثله في إدارتنا ، وهذا

الملف يحوى كل التفاصيل عنك ، وعن انتصاراتك العديدة

على المخابرات الإسرائيلية ، والسوفيتية ، و



صمت (توماس ألي) لحظة ، ثم مال نحوه بدؤره ، وهو يجيب في لغة
حازمة ، وصوت خافت ، يشقان عن خطورة الأمر .

قاطعه (أدهم) في هدوء :

— والأمريكية

مط (توماس) شفتيه ، مهمبها في اقتصاب :

— نعم .

ثم عاد يستطرد في اهتمام :

— إنك باختصار ، الرجل الذي نحتاج إليه .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وعاد ينعقه إلى الورا ، وهو

يقول في سخرية :

— أهو عرض للالتصام إلى صفوفكم ؟

أجاب (توماس) في حزم :

— كلاً . وما كنت لأقدم لك مثل هذا العرض ،

فمعلوماتنا تزكّد — بما لا يدع مجالاً للشك — أن ولاءك يقتصر

على بلادك فقط .

مال (أدهم) إلى الأمام ، وهو يسأله في اهتمام :

— ماذا تريد إذن ؟

صمت (توماس ألي) لحظة ، ثم مال نحوه بدؤره ، وهو

يجيب في لغة حازمة ، وصوت خافت ، يشقان عن خطورة الأمر :

— إننا نحتاج إليك . لأداء مهمة خاصة .

ثم تنهد في عمق ، قبل أن يصف في قوة :

— مهمة لحساب الخبايا المتركزة الأمريكية .

٢ - مهمة أمريكية ..

مضت لحظة من الصمت ، التفت خلالها نظرات (أدهم) و (توماس) ، ثم اعتدل (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :
 - يبدو أن معلوماتك عنى ليست كافية يا ماستر
 (ألى) ، فأنا أعمل فقط لحساب مخابرات وطنى ..
 أجابه (توماس) فى توتر :
 - لن يتعارض هذا وذلك يا ماستر (أدهم) .
 تسلس بعض الاهتمام إلى لمحة (أدهم) ، وهو يقول :
 - كيف ؟ .. إنك تجعل الأمر يبدو أشبه بلفظ سخيف
 يا ماستر (ألى) ..
 زهر (توماس) فى توتر ، قبل أن يقول فى جدّة :
 - اصبر يا ماستر (أدهم صبرى) .. إن المهمة التى
 أطلبك بشأنها بالغة السريّة ، وفى رأى أنك الرجل الوحيد ،
 الذى يمكنه أداءها على النحو المنشود ، وهذا يعنى ألا يعلم
 سوانا ، وسوى هؤلاء الرجال الثلاثة ، الذين يصحبونى ،
 والذين أثق فى ولائهم لفتى نفسى ، طيبة تلك المهمة .

أراد (أدهم) أن يحرص فى هدوء ، ولكن (توماس)
 استوقفه بإشارة من يده ، وهو يستطرد فى سرعة :

- ومستحصل على الثمن بالطبع .

اصم (أدهم) فى سخرية ، وهو يغتم :

- الثمن ؟! .. معذرة يا ماستر (ألى) ، لقد وصلت فى
 موعد غير مناسب ، فلقد أغلقت متجرى ، ولست أنوى
 التعامل ، سوى مع عملاقى القدامى .

عقد (توماس ألى) حاجبيه الكثين ، وهو يقول فى
 جدّة :

- حتى ولو كان هذا الثمن هو قائمة كاملة ، لأسماء
 وعناوين كل جواسيس (الموساد) ، فى الشرق الأوسط
 بأكمله ؟!

أطلق (أدهم) صغيرا طويلا ، قبل أن ينفذ فى دهشة :
 - ياله من ثمن ! .. أية مهمة تنوى إسنادها لى ، فى مقابل
 ذلك يا ماستر (ألى) ؟ .. قتل رئيس الولايات المتحدة
 الأمريكية ؟!

تراجع (توماس) فى مقعده ، وهو يقول فى حرامة :
 - هل يروق لك الثمن ؟

أجابيه (أدهم) في اهتمام :

— بالطبع ، ولكنه يفجر في رأسى عشرات الأسئلة .

غمغم (توماس) :

— مثل ماذا ؟

بهض (أدهم) ، ولوح بكفه ، قائلاً :

— مثل طبيعة تلك المهمة العجيبة ، التي تستحق منكم ،

أو منك على الأرجح ، التضحية بتقديم مثل ذلك الثمن

لغاراتنا ، على الرغم من الصداقة الحينة ، بينكم وبين

(الموساد) !

عقد (توماس) حاجبيه ، ودس سيجاره بين شفتيه في

عصية واضحة ، وأشعلها في تولر زائد ، ونفت دُخانها في

حذة . وهو يقول :

— إنها مهمة عجيبة حقاً ، كما تقول يا ماستر (أدهم) ،

وجدورها عميقة قديمة . تعود إلى نهاية الحرب العالمية الثانية

رفع (أدهم) حاجبيه . وهو يغمغم في دهشة :

— الحرب العالمية الثانية ؟؟

ثم عاد يجلس ، مستظرفاً في اهتمام :

— إنك تثير فضولي حقاً يا ماستر (ألبى) .

نفت (توماس ألبى) دُخان سيجارته مرة أخرى في

عصية ، وقال :

— استمع إليّ جيّداً يا ماستر (أدهم) ، حتى يمكنك

استيعاب مدى خطورة الأمر . أنت تعلم — مطلقاً تعلم

الجميع — أن قبلة الذرية كان لها الفضل الأول في وضع نهاية

الحرب العالمية الثانية ، ولقد ملأنا ذلك — حينذاك — فخرًا

وقوة واعتزازًا ، خاصةً وقد جعلنا الدولة الأولى في العالم .

ثم جاءت قضية (روزنبرغ)^(*) ، التي جعلت السوفييت أيضًا

يملكون سرّ القبلة الذرية ، وهنا أصبحتا تعتبرهم الغدو رقم

(واحد) لنا . وبدأنا نتخذ أساليب الحيلة والحذر منهم ،

وننتظر في قلق أن يبدؤوا بالقتال ، أو أن يلجئوا إلى الحرب

النووية ، لذا فقد كان علينا أن نتخذ كل الاحتياطات

اللازمة لمنع حدوث ذلك .

(*) بعد الحرب العالمية الثانية ، كان الأمريكيون وحدهم يملكون

سرّ القبلة الذرية ، حتى نجحت المخابرات السوفيتية في تجنيد أحد غلماء

الطاقة الذرية الأمريكيين . ويدعى (روزنبرغ) ، وزوجه ، ففعل

الامتان تصميمات القبلة الذرية إلى (موسكو) . ثم كشفت المخابرات

الأمريكية أمرهما ، وألقت القبض عليهما . وتم إعدامهما بالكهرباء

الكهربائي . في ١٩ يوليو ١٩٥٣

لقت ذخان سبجارتة مرة أخرى ، في عصية متزايدة ، ثم
استطرد :

— وحيثما وضعنا خطة الدفاع ، وصل بنا الأمر إلى وضع
احتمال احتلال السوفيت لدولتنا في رغنوسا ، وقررنا أن نتخذ
الاحتياطات لذلك ، ومن هنا نشأت فرقة (الصقور) ..
غمغم (أدهم) في اهتمام :

— (صقور أوكوتور) ؟

تطلع إليه (توماس) في دهشة ، وهو يهتف :

— هل تعرف (صقور أوكوتور) ؟ عجبنا !! .. كنت
أظن أن ذلك يندرج تحت قائمة المعلومات السرية للغاية ، في
مؤسستا العسكرية !!

انهم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :

— لقد أخطأت في تصوورك هذا ، فلقد كان لنا عمل
وسط صفوفكم ، منذ ما يقرب من عشرين عامًا ، نقل إلينا
كل ما يتعلق بـ (صقور أوكوتور) ، حتى أنه بات لدينا مجرد
تاريخ قدم

عاد (توماس) يهيم مرة أخرى في دهشة :

— عجبنا !!

وسحب أنفاس سبجارتة في جعدة ، ثم نفثها ، مردفاً :

— حسنًا .. إن (صقور أوكوتور) عبارة عن وحدة
مقاومة داخلية ، يقتصر عملها على مقاومة جيوش السوفيت ،
إذا ما هجموا في احتلال البلاد ، ولقد أنشأ تلك الوحدة عقيد
قديم ، يدعى (دافيد أوكوتور) ، ومن هنا جاء تسميتها
بوحدة (صقور أوكوتور) ، وهي تضم مائة رجل ، من
أفضل رجال مخابراتنا وجيوشنا ، وتقيم في مقر خاص داخل
قلعة تاريخية قديمة . تحتل قمة جبل مرتفع ، على مشارف
العاصمة (واشنطن) ، وهذه القلعة مجهزة بوسائل دفاعية
وهجومية خالقة ، حتى أنها تحوي ثلاثة صواريخ ذات رغنوس
نووية ، يتم توجيهها آليًا ، وقبلة ذرية خاصة ، يتم تصجيرها في
حالة اقتحام القلعة عشوة ، ووسائل رصد وإسناد مكبر
قائقة .. باختصار ، إنها تعد أقوى حصن في العالم أجمع

ساد الصمت لحظة ، و (توماس) يذود لعاية ، فسأله
(أدهم) في اهتمام :

— هل تُرَد (صقور أوكوتور) ؟

رمقه (توماس) بنظرة طويلة ، قبل أن يجيب :

— أنت جَم الذكاء يا مسر (أدهم) ، نعم .. هذا

ما حدث تقريباً ، فمنذ إنشاء وحدة (الصقور) ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وخسين ، كانت تتبع التقارير المركزية ، وكان أفرادها يتلقون تدريبات خاصة مكثفة ، وتُفَرَّد لهم ميزانية كبيرة ، تقدر بحمسة ملايين دولار سنوياً ، ومع مرور السنين ، نخر الحماس نجاه وحدة (الصقور) ، ولم يغب أحدٌ عنهم بتدريهم ، أو مناقشة ميزانيتهم ، التي ظلت بنفس القدر ، على الرغم من وصول قائد الوحدة (دافيد أوكونور) إلى رتبة جنرال ، إلى أن تم توقيع معاهدة الحذ من الأسلحة النووية ، ورأى البعض أنه لم يغب هناك داع لاستمرار بقاء الوحدة ، فصدر القرار بحلها ، وإحالة جميع أفرادها إلى التقاعد .

جذب أنفاس سجاوته في عصية ، تشف عن وصوله إلى أخطر أجزاء القصة ، قبل أن يستطرد :

— وطوال تلك السنوات ، وعلى الرغم من إهمال أمر الوحدة ، واصل (دافيد أوكونور) تدريب رجاله ، وبث الفورة في عروقهم ، حتى صاروا يدينون له بولاء شديد ، ويعتبرونه ليس فقط قائدهم ، وإنما والدهم الروحي أيضاً . وعندما صدر قرار حل الوحدة ، لار (أوكونور) ، ورفض تنفيذ القرار في شدة ، ثم اختفى لعدة ساعات ، عاد بعدها ليعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية كلها

عظيم (أدهم) في ذهنة :

— الحرب ١٢

أجابه (توماس) في حق

— نعم .. الحرب .. لقد طلب هذا الخبير الإبقاء على وحدته ، وزيادة ميزانيتها إلى مليار دولار سنوياً ، يخصه وحدة منها اثني عشر مليوناً ، يواقع مليون دولار شهرياً ، وإلا أطلق صواريخه ذات الرؤوس النووية على (نيويورك) ، و (واشنطن) ، والأخطر أنه هدد بإطلاق أحد صواريخه على (موسكو) ، وأنت تعلم ما يعنيه ذلك .. إنه يعني نشوب الحرب النووية بيننا وبين السوفييت ، وعظيم نصف العالم من خراء ذلك

سأله (أدهم) في اهتمام

— وماذا فعلتم ؟

أجابه في سخط :

— لم يكن أمامنا سوى تنفيذ مطلبه ، والرضوخ له ، حتى أنه عيا ، منذ عام كامل ، حياة المليارديرات ، وينفق في بذخ ، هو ورجاله ، الذين أصبحوا دولة داخل دولة ، وأصبحوا مصدر تهديد دائم لنا ، في الداخل والخارج .

ران الصمت لحظة . ثم قال : أدهم . في هدوء .
— ما المطلوب مني بالضبط ؟

غمغم (توماس) في انفعال :
— الكثير

وصمت لحظة . ثم استطرد في توثر :

— من الطبيعي أننا لن نستمر في الرضوخ لـ (أوكوتور)
اللعين طويلة . فهو يزداد طغياناً ، يوماً بعد يوم . ولقد درسا
كل احتمالات مواجهة الموقف . واستعدنا منذ البداية فكرة
افحوم الانتحاري المسلح . حتى لا يطلق (الصقور)
الصواريخ النووية . في حال شعورهم بحتمية الهزيمة . وكذلك
استعدنا محاولات التسلل . نظراً لدقة أجهزة الرصد والدفاع
داخل القلعة . وحتى فكرة قطع التيار عن القلعة . لإيقاف كل
أجهزتها الإلكترونية . ثم استعادته على الفوز . نظراً لأن
القلعة مزودة بمولد تيار خاص إضافي . وبعد دراسة كل
الاحتمالات . بات واضحاً أن ضرب الصقور . وكسر
شوكتهم . لن يتأتى من الخارج . بل من الداخل . من
داخلهم .

لفت ذخاير سيجارته . وازدرد لعابه لحظة . ثم أردف في
انفعال :

— ولكن حقور (أوكوتور) المائة يدينون له بولاء
شديد . حتى أنه من المستحيل أن يخونه أحدهم . مهما احتاد
من مزاياء وهبات . و (أوكوتور) يعرف كل رجل في
إمارتنا . يحكم كونه أحدنا . ومن المستحيل أن تؤهل رجلاً
جديداً لمثل هذه المحاولة المحيطة . باختصار . وجدنا أننا نحتاج
إلى رجل واحد . رجل مجهول (أوكوتور) . ولكنه يحفظ
فناً كافياً من المهارات والذكاء . لخداع هذا الأخير . وإقناعه
بنصته إلى صفوره . حيث يمكن تدميرهم من الداخل
وزلزال في قوته . قبل أن يتابع في جدة :

— إننا نحتاج إلى رجل من خارج إدارتنا . يملك ذكاء
الثعالب . وشجاعة الأسود . وحذر التصور . وسرعة
التعابن . وقوة الثور .

ورقق (أدهم) بنظرة حاسمة . وهو يستطرد في خزم :
— إننا — باختصار — نحتاج إليك .

ران الصمت لحظة . ثم اتسم (أدهم) . قائلاً في هدوء :
— إنها مهمة بالغة الصعوبة حقاً يا سيدي (ألي) . ولكنها
لرؤوف لي . خاصة مع الثمن الذي تعرضه . والذي سير
مخبراتي كثيراً .

قال (توماس) محذرا :

— لا ينبغي أن تعلم مخبراتك بالأمر .. احصل على
إجازة ، أو تصرف على أى نحو يروق لك ، ولكن لا تجعل
أحدًا يعلم بالأمر ، حتى تنتهى منه على الأقل .
عقد (أدهم) حاجيه مفكرا بعض الوقت ، ثم أبسطت
أساريره ، وأبسم ، وهو يقول فى حزم وثقة وهدير :
— اتفقنا يا مستر (ألى) .. إننى أقبل المهمة .. أقبل أن
أفصح وحدى (قلعة الصقور) .



٣ — الطاغية ..

توقفت ثلاث سيارات فاخرة ، من طراز (رولز رويس) ،
أمام أفخر كازينو ليل فى قلب (نيويورك) . وقصر من
السيارتين السوداوين ، الأولى والأخيرة ، عشرة رجال ،
أسرعوا بصطفون فى صفين متقابلين ، على جانبي مدخل
الكازينو الأبيض . ثم هبط سائق السيارة الوسطى ، البيضاء ،
فى خلفه الأنيقة ، وقفازيه البيضاء ، وفتح بابها الخلفى ،
ووقف ثابتا فى احترام ، حتى هبط من السيارة رجل مفشوق
القوام ، متين الثياب ، شديد الأناقة فى خلفه البيضاء ، ورباط
عنقه القصير . وجمَّ الرسامة بوجهه الخلق ، وفؤديه
الأخمين . وهو يبدو فى نهاية الأربعينات من عمره ، على
الرغم من تجاوزه لسن الستين بعام وبضعة أشهر ..
وأصرح مدير الكازينو يستقبل الرجل فى احترام بالغ ،
وهو ينحني أمامه ، قائلا :

— مرحبا يا جنرال (أوكسبور) .. إنه لمن دواعى
الشرف أن نختار ملهانا المتواضع ، لقضاء سهرتك .

رمقه (دافيد أوكونور) بنظرة باردة ، وهو يقول :
— بالفعل .

ثم سار في عظمة بين صفتي صفوفه ، حتى غمر بوابة
الكازينو . فاندمج الصفان خلفه في صف واحد إلى داخل
الكازينو ، حيث احتل (أوكونور) مائدة خاصة ، أمام منصة
العرض مباشرة ، واحتل رجاله العشرة مائتين آخرين على
جانبه ، وهنئ (أوكونور) في هجة امرأة :

— فليبدأ برنامج السهرة على الفور . وليتناول الجميع
(الشبانيا) على لفقتي .

اغنى مدير الكازينو . وهو يقول في احترام :
— كما تأمر يا جنرال . كما تأمر .

كان الموعد المحدد ، لبدء برنامج السهرة ، هو بعد ساعة
قادمة ، وكان بعض رؤاد الكازينو لا يميلون إلى تناول
(الشبانيا) . ولكن البرنامج بدأ على الفور ، وانتشر الشقا
يمتلئون الموالد بزجاجات الشبانيا ، دون أن ينس أحد
الحاضرين بكلمة اعتراض واحدة ، حتى وضع أحد الشقا
زجاجته فوق مائدة صغيرة ، يجلس إليها رجل وسيم ، وفناء
جذابة هادئة الملامح ، فالتقط الرجل الزجاج ، وأعادها إلى
الساق ، وهو يقول في برود :

— لا داعي . إنني لا أتناول أية مشروبات روحية
ارتبك الساق ، وارتجفت صوته وأصابه . وهو يرمي إلى
مائدة (أوكونور) ، مغيمًا في اضطراب :

— لقد أمر الجنرال (أوكونور) بذلك . و
قاطعه الرجل في صرامة . وبصوت مرتفع ، وكأنه يتعمد
أن يصل صوته إلى (أوكونور) ورجاله .

— قلت لك إنني لا أتناول المشروبات الروحية .
عقد (أوكونور) حاجبيه في غضب ، وألقى نظرة
ساحطة على رجاله ، فنهض اثنان منهم ، واتجهوا نحو مائدة
الرجل والفناء ، على حين ازداد اضطراب الساق ، وهو
يهمهم .

— سيدي . أرحوك ضع الزجاجاة أمامك ، ولا داعي
لأن تناول منها جرعة واحدة . إلنا نكرة المشاكل هنا
بعض الرجل ، الذي لم يكن سوى (أدلم صبرى) ،
وعقد ساعديه أمام صوره ، وهو يقول في برود :

— لو أنك نكرة المشاكل بالفعل ، فخذ الزجاجاة وابعد
من هنا بسرعة ، قبل أن أحطم أنفك .
امتقع وجه الساق ، ونهض قلبه في هلع ، وقد أعجزته

الخبرة عن اتخاذ آية قرارات ، حتى انتزعت يد قوية الزجاجة
من يده ، وسمع صولاً صارخاً غشناً ، يقول :

— ذغ عنك هذه المهمة يا رجل ، وانصرف من هنا .
أسرع السائق يتصرف ، على حين انجبه مدير الكازينو نحو
المالدة ، قائلاً في ارتباك :

— لا داعي للمشاكل أيها السادة .

قال صاحب الصوت الحسن في لهجة صارمة :

— لن تحدث أية مشاكل .

ثم نزع سداً زجاجة (الشبانيا) في حركة سريعة قوية ،
وفي صوت مدوّ كالقنبلة المكتومة ، وصبّ بعض المشروب في
كأس (أدهم) و (منى) ، وبعضه في كأس ثالث ، رفعها
غالياً ، وهو يقول في صوت صارم مرتفع :

— فليشرب الجميع نخب الجنرال (دافيد أوكونور) .

— رفع جميع رؤاد الكازينو كأسهم في قلق ، على حين
اكتست (منى) بانسامة ساحرة ، وبقي (أدهم) هادئاً ،
عاقداً ساغديه أمام صدره في برود ، ومنطلقاً إلى صاحب
الصوت في حمود ، فعقد الرجل حاجبيه في غضب ، وهو يقول
في صرامة :

— لقد قلت الجميع .

أجابه (أدهم) في سخرية :

— عجباً !... إنني لم أسمع ذلك ، لقد خلطك تعذر لي
ولزميلتي .

حفظ الرجل أسنانه في غضب ، وعقد (أوكونور)
حاجبيه في استكار ، على حين نهض أربعة صقور آخرين ،
لينضفوا إلى زميلهما ، عند مالدة (أدهم) و (منى) .
وقال أحدهم في حدة :

— هل يروق لك الاحتاج إلى فرشاة أسنان أبداً يا صاح ؟

هزّ (أدهم) كتفيه في استهزاء ، وهو يقول في سخرية :

— سيدو ذلك طريقاً . هل اخترعت يدلاً لها ؟

صاح الرجل في غضب :

— نعم . وهو يسمى تحطيم الأسنان . و . . .

وفجأة ، وقبل أن يزيد الرجل حرماً واحداً ، انطلقت

قبضة (أدهم) الفولاذية كالقنبلة . انتهى على فمه . وتحطّم

أسنانه . و (أدهم) يقول في سخرية :

— أغني هكذا . . .

وكانت هذه الذكسة إيذانا لبدا الجولة الأولى من المعركة .
بين (أدهم) و (منى) . و (صفور) (أوكونور)

اتسعت عيون الجميع دهولا ، إزاء تلك المفاجأة ، التي لم
يتوقعها أحدهم قط . . .

و (أاد الكاريسو) ، و (مديرو) ، و (المعلمون) فيه . و حتى
(أوكونور) و رجاله الأربعة

الوحيدون الذين لم يشعروا بالدهش . كانوا رجاله
الستة . الذين اشكت معهم (أدهم) و (منى) . .
لم يجدوا الوقت لذلك .

لقد حطّم (أدهم) أسنان الرجل . ثم دار على عقبه في
سرعة مذهلة ، ولكم رجلا ثانيا في أنفه . و قفّز في مرونة
ورشاقة ، ليكمل الثالث في فكّه . و الرابع في معدته . على حين
التقطت (منى) و (حياحة) (التسيانيا) في سرعة . و هوت بها
على رأس الخامس . ثم ركلت السادس بكل قوتها بين ساقيه .
و تركت له (أدهم) مهمة وضع اللسان الأخيرة للمعركة .
و انتزعت هي مسدسها الصغير من حقيبتها . و صوّته نحو
(أوكونور) و رجاله الأربعة . و هي تقول في لحظة تجمع ما بين
الخرم و السحرة .

٣٢١ - رجل السجل (٦٨١) قلعة الصفور



وفجأة ، و قيل أن يزيد الرجل جرّفا واحدا ، انطلقت قبضة (أدهم)
التملاذية كالقنبلة لتهدى على قدمه . و تحطّم أسنانه

— يا للشيطان !!

أطلق (أدهم) صرخة ساخرة ، بدت عجيبة وسط الكازينو ، الذي سادته الصمت التام ، والجميع يتحدقون فيما حدث داخلين ، وبعضهم يخفي في صعوبة ابتسامته الشامة ، لما أصاب (أوكونور) الطاعية ورجاله ، على يد رجل ولحاة مجهولين ، ثم تناول (أدهم) زجاجة من الماء المعدى ، وصب بعضه في كأس فارغة ، ورفعها عاليًا ، وهو يقول في سخرية :
— لحب كسر أنف الجنرال (أوكونور) ورجاله .

ثم جرع الكأس دفعة واحدة ، على حين ابتسمت (منى) في سخرية ، وتفاقت كل شياطين الغضب في وجه (أوكونور) ، وهو يهتف في سخط :

— إنك تستحق القتل ، من أجل هذا .

وقع (أدهم) قوته مسدسه نحو رأس (أوكونور) ، وجذب إبرته . وهو يقول في سخرية ، لا تخلو من الصرامة :
— حقًا .

احتس وجه (أوكونور) ، وتوتر رجاله في عصبية ، وهو يهتف في حدة :

— لا أحد يصوب سلاحه إلى الجنرال (أوكونور) هكذا يا قبي .

— مهلاً يا رجال . حركة واحدة ويزن رأس كل منكم نقب مخيف .

ولكن رجال (دافيد أوكونور) لم يكونوا من ذلك النوع ، الذي يخضع إلى التهديد ، لذا فعل الرغم من قوّة مسدس (منى) ، المصوّبة إلى رءوسهم ، التزع كل منهم مسدسه ، وصوّبه إليها . ولكن أربع رصاصات سريعة مُحَكِّمة أنهت الموقف في غمضة عين ، ووجد الرجال الأربعة أنفسهم بلا سلاح ، فانسعت عيونهم في ذهول ، ورفعوا أيديهم فوق رءوسهم في استسلام ، على حين بدا وجه (دافيد أوكونور) كصورة مجسّمة للذهول . وهو يتحدق في وجه (أدهم) ، الذي أطلق الرصاصات الأربع ، ووقف يتسم في سخرية وهو يقول لـ (منى) :

— معدرة يا زميلتي العزيزة ، لقد خشيت أن تأخذك الحماسة كالمعتاد ، فطلقين النار على رأس أحدهم .

هزّت (منى) كتفها في لامبالاة ، والتقطت حقيبتها ، لتجهد إليها مسدسها ، وهي تقول في هدوء :

— لقد كانوا يستحقون ذلك على أية حال . وعادت تجلس على مقعدها في هدوء ، وتسطّلع في برود إلى (أوكونور) ، الذي غمغم ، ولم يفارقه ذهوله بعد :

ابسم (أدهم) . وهو يقول في سحرية :

— يا لها من مصادفة !.. إنني أحمل اسم (لا أحد) .

وعاد يطلق ضحكة ساحرة . ثم ألقى مبدسه بعيدا .

وقال وهو يمد يده إلى (مني) . ويعاونها على النهوض في
رشاقة :

— إنني أكره أن يرغبني أحد على إتيان ما أرفضه أبدا

الجنرال الهزلي . ولكن ما دمت تصرّ على دعوتنا . فسأمتحك

الفرصة لتحقيق رغبتك . لقد تناولنا طعام العشاء .

ورجائين من الـ (كولا) الخالية من السكر . ويمكنك

إضافة ذلك إلى حسابك

ودون أن تتلاشى إسمائه الساحرة . أبعد ذراعه :

لتأبطها (مني) . واستطرد في تهكم .

— طاب مساؤك يا جنرال القيود .

واتجه مع (مني) نحو بوابة الخروج . دون أن يعترضه رجل

واحد . على حين قفز أحد رجال (أوكتوبور) نحو مبدسه .

فهبط به هذا الأخير في عvisية .

— كلا . ليس الآن .

وضغط أسنانه في غضب . وهو يستطرد في سحق :

— لن أقبل ذلك الوعد . قبل أن يجلّو على ركبته أمامي .

طالباً الرحمة .

وهدر صوته في ثورة . وهو يستطرد :

— أريد هذا الرجل حياً .

وانطلق صفور الطاعة خلف (أدهم) و (مني) .



٤ — خطوة بخطوة ..

« إنك تلعب بالنار يا أدهم صبرى .. »
 بدلت (منى) قصارى جهدها ، انطلقت تلك العبارة بأكثر
 قدر تمدان من الهدوء ، إلا أنها جاءت — على الرغم منها —
 مفعمة بالتوكل والتسليم ، فاكثرت أدهم ، باصامة ، وهو
 ينسك في عمل ما ، أمام المرأة ، فاستطردت هي في حدة :
 — لقد كان من الضروري أن تضلل إلى وكتر صقور
 (أوكونور) ، لا أن نأخذ على هذا البحر العكسى
 الاستطرازي .

سأها .. وهو يتسم في هدوء

— هل كنت تفصلين تناول (الشصايت) ؟

عقدت حاجبها ، وهي تقول في حنى

— لا تسخر منى يا أدهم ،

رفع حاجبه في ذهنة مضطرب .. وهو يتولى في الحث

— كيف ..؟ ألا تريد منى أن أتحدث إليك مطلقا ؟

هضت في سخط :

— ألا يمكنك التحدث إلي بلا سخرية ؟

ضحك قائلاً :

— سيكون ذلك عسرا .

أشاحت بوجهها في غضب ، وهي تقول :

— لن أتحدث إليك إذن .

انسم وهو يلتفت إليها ، وقال في هدوء :

— لو أن المعلومات التى لدينا ، عن (دافيد أوكونور)

صحيحة يا عزيزتى ، فسيتى هذا أن (أوكونور) لن يسعى

إلى قتلنا ، وإنما سيأمر رجاله بذل قصارى جهدهم ، لإلقاء

القض علينا أحياء .

سأته في ذهنة :

— وكيف يمكنك أن تتق في ذلك ؟

أحباها في جدية :

— إن (أوكونور) رجل عسكري قديم ، وطاغية

حالى ، والعسكريون يفقدون عادة هبة الموت ، ولا يؤمنون

فيه عقابا كافيا لخصومهم ، أما الطغاة ، فهم يكرهون التخلص

من أعدائهم ناصبهم بالقتل ، وإنما يؤرق لهم إدلائهم أولا ،

ورؤيتهم وهم يعترفون لهم بالقوة ، ويتسلون إليهم للعفو .

سأنته في اهتمام

— هل يمكنك اختصار هذه المحاضرة ، إلى جملة واحدة ؟

عاد ينسم ، وهو يقول في هدوء :

— إنها تعني ببساطة أن (أوكونور) لن يسعى إلى قتل

يا عزيزي ، ولكن إلى إلقاء القبض علينا أحياء ، ليُدَلَّ ناصبنا

بدوره ، قبل أن يقتلنا شرًّا فنته

هفت في استنكار

— وهل يروق لك ذلك ؟

أطلق ضحكة هادئة ، وهو يجيب :

— بالطبع ، فهذا يجعلنا أكثر خربة ، لأن أحدا لم يأمرنا

بالإبقاء على حياة صفوره .

ثم عاد إلى سخريته ، مستطرذا :

— وهذا يمنحنا نقطة تفوق ، في صراعنا مع صفور

(أوكونور) .

نفت الجنرال (أوكونور) غضبه ، مع أنفاس سيجاره

الفاخر ، وهو يقول لصايطه الأول (دوايت) في حلق :

— ذلك الحقير تعمد إهانتى أمام الجميع ، ولن يهدأ لي بال

قبل أن أراه أمامى ذليلاً مهيناً .

أجابه (دوايت) في حزم :

— إننا نعقب خطواته خطوة خطوة ، منذ غادر الكازينو

يا جنرال ، ونعلم الآن أنه يقيم مع رفيقته في جناح قديم ، في

الدور الرابع من فندق (كونستال) ، وهناك عشرة من

رجالنا يحيطون بالمكان ، ويستظرون أوامرك .

استدار إليه (أوكونور) ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو

يقول في لجة حازمة أمرية ، غاضبة :

— مرفم بأن يقتحموا جناحه ، ويترعوه هو وزميلاته

منه ، ويحضرهما إلى هنا ، مكبلين بالأغلال ، وعلى أسوأ

وسيلة ممكنة . أريد أن يشعر بأكبر قدر ممكن من المهانة ، قبل

أن يحثوا أمامى هنا .

ارتسمت على شففى (دوايت) ابتسامة شامتة ، وهو

يقول :

— كما تأمر يا جنرال .

ثم دار على عقبيه على نحو عسكري ، وغادر حجرة

الجنرال ، والقلعة كلها ، في طريقه لتنفيذ الأمر .

استقل رجال (أوكونور) العشرة ، بقيادة (دوايت) ،

مصنعة فندق (كوتنتال) ، إلى الطابق الرابع ، وهناك أبرز
كل منهم مدفعا رشاشا فصيحا ، وانتشروا في البهو الذي يطل
عليه جناح (أدهم) و (منى) ، وأشار (دوايت) إلى خمسة
منهم ، فأصرعوا نحو باب الجناح ، وطرق هو الباب في هدوء ،
وانتظر حتى سمع صوت (منى) يقول في هدوء :

— من الباب ؟

أجابها في برود :

— خدمة الفندق

خيل إليه أن صوتها يحمل رنة ساعرة ، وهي تقول :

— وماذا تريد خدمة الفندق ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— هناك خطاب عاجل ، للسيد (أندريه لاثور) .

أجابته في هدوء :

— ادفعه من أسفل الباب ، والصرف .

صفت أسنانه في خنق ، وهو يقول في جدّة :

— لا بد من تسليمه بلدا بيد .

جاوبه الصمت لحظة ، قبل أن يأتيه صوتها ، وهي تقول :

— حسنا . انتظر لحظة .

وصل إلى الطابق — في تلك اللحظة — أحد خدم
الفندق ، فأدار الرجال قُوّهات مدافعهم الرشاشة نحوه في
جدّة ، جعلته يتراجع في فرع ، وهو يغمغم :

— ماذا ؟ ماذا هناك ؟

أجاب أحد الرجال في خشونة

— لا شيء يا رجل . . . إنك لم تتر شيئا .

تراجع الخادم في ذعر ، وهو يردد في ارتعاج :

— نعم . . . نعم يا سيدي . . . إنني لم أتر شيئا .

دفعه أحدهم إلى ركن البهو ، وألقى قُوّهة مدفعه الآلي
القصر بجمته . على حين التفت عناء بحركة آلية نحو باب
الجناح . الذي تحرك في هدوء ، لتحفظ كل رجال (أوكوتور)
لاقتحامه .

وفجأة . وبدلاً من أن تظهر (منى) على باب الجناح ،

اندفعت من داخله كرة معدنية ، وسقطت بين أقدام الرجال ،
فنهت بهم (دوايت) :

— ابتعدوا . . . إنها قبلة ذخان .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى انفجرت القبلة بدوى مكثوم ،
وتصاعدت منها سحب الدخان الكثيفة ، وصرخ (دوايت)
في غضب :



دفعه أحدهم إلى ركن الباب ، وألقى فوهة مدفعه الآلي القصير بجهته ،
على حين انفتحت عيناها بحركة آلية نحو باب الخناج .

— اتحموا الجناح ، وأطلقوا النار .

اندفع الرجال ، وعيونهم تلهب بالأدخنة ، نحو جناح
(أدهم) و (منى) ، وأطلقوا رصاصاتهم في كل ركن فيه .
وفجأة ، توقف خادم الفندق عن الارتعاد ، وارتسمت
على شفيه ابتسامة ساخرة ، وتحركت قبضته لتلكم أقرب
الرجال إليه لكمة ساحقة . ثم اختطف مدفعه الآلي القصير ،
وركل رجلا آخر في معدته . في نفس الوقت الذي التقطت فيه
أجهزة إنذار الحريق رائحة الدخان الكثيف ، تفجرت
رشاشات المياه تغمر المكان ، ودوى صوت صفارات الإنذار
داخل الفندق . وساد الهرج والفرج في أروقته .

رشق صوت (أدهم) الصارم كل هذا ، وهو يقول :
— انتهى القتال أيها السادة . اقرأوا أسلحتكم . وارتفعوا
أيديكم فوق رؤوسكم .

كانت الأخيرة تلهب عيون الصقور . وانوفهم . حتى لم
يعد أحدهم يدرى أين يصوب سلاحه . وأين يطلق
الرصاص . ولم يكن أمامهم سوى الاستسلام . قالوا
أسلحتهم في حلق . ورفعوا أيديهم إلى أعلى . وبرزت (منى)
من جناح جانبي . وهي تطلق صيحة ساخرة ، آلات غيظ
الصقور وسخطهم . قبل أن تقول :

— يا لحية ذلك الجرال الهزلي ، الذي يعتمد على رجال
ملككم لحمايته ، ومنحه الهبة اللازمة !!.. لقد كان خداعكم
وهزيمتكم من أبسط الأمور .. فقط استجار جناح إضائي ،
باب جانبي مزدوج ، وارتداء زني خدم الفندق .. يا لكم من
قروء أغبياء !

وعادت تطلق ضحكها الساخرة ، في نفس اللحظة التي
وصل فيها رجال أمن الفندق ، وهم يحملون أجهزة إطفاء
الحريق ، فانتسعت عيونهم دهولاً ، أمام ذلك المشهد . وهتف
أحدهم :

— ماذا يحدث هنا ؟

أجابه (أدهم) في تهكم :

— لا شيء يا صديقي .. لا تقلق نفسك ، مجرد حشرات
عشت في أجهزة إنذار الحريق ، ومسحقها بعد لحظات .

مسح (دوايت) دموعه ، وهو يقول في حدة :

— لن يغفل لك الجرال (أوكونور) هذا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— أتقصد أنه سينتقم مني ، كما فعل هذه المرة ؟

شئ المكان فجأة صوت صارم ، يقول في غضب :

— من هذا الذي سينتقم ؟ ومن أنت بالتحديد ؟
ومن هم هؤلاء الرجال ؟

كانت الأجرة قد انقشعت تماماً تقريباً ، فالتفت (أدهم)
إلى مصدر الصوت ، ورأى زعيماً أشيب الفودين ، متين
البنيان ، يرتدى ثلة عادية ، ويدور غاضباً مُخْتَفِئاً ، فقال
(أدهم) في يروء :

— يمكنك أن تحصل على كل الآحوية ، لو أجبني أولاً عن
سؤال واحد .. من أنت ؟

انتزع الزعيم من جيبه بطاقة جلدية ، فضجها أمام عيني
(أدهم) ، وهو يقول في حدة :

— الملازم (جون براون) ، من شرطة (نيويورك) .
هل من أسئلة أخرى ؟

اتسم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :

— كلا .. هذا يكفي .

ثم ناول المدفع الآلي للملازم (براون) ، في بساطة ،
مستطرداً :

— والآن ، ألق القنص على هؤلاء الأوغاد ، مادامت
هذه هي مهنتك

القط الملازم (براون) المدفع الآلي في حدة . وهو يتف

— والآل .. ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟

أجاب (دوايت) في حق :

— نحن رجال الجنرال (أوكونور) .

أرفع حاجبا الملازم (براون) في دهشة : ثم لم يلبث أن عقدعما . وهو بعض شقيقه في غيظ . مغمغما :

— وماذا تفعلون هنا ؟

أجاب (دوايت) في حق :

— ليس هذا من شأنك

زجر الملازم (براون) في غضب . ولوح بذراعه في حدة . وهو يتف في سخط :

— حسنا . اذهبوا .. اغربوا عن وجهي .

هتفت به (مكي) في استكبار ..

— هل ستطلق سراحهم ؟! لقد كادوا يقتلوننا !!

أجابها في حدة :

— أعلم ذلك . ولكنها الأوامر .. الأوامر اللعينة ..

صاحت في غضب :

— آية أوامر تلك التي

قاطعيها (أدهم) في صرامة :

— كفى يا عزيزي . من الواضح أن الجنرال (أوكونور) ورجاله يملكون حصانة خاصة هنا .

ثم استطرد في سخرية :

— في هذا البلد الحر

أشاح (براون) بوجهه في حق ، على حين التفت (دوايت) إلى (أدهم) . وقال في صرامة :

— لا تفرح كثيرا بانتصارك في هذه الجولة يا رجل .. إن

أحدا لم يهزم صفوف (أوكونور) من قبل .. إن الجنرال سيتركك إرثا في النهاية .

اتسم (أدهم) في هدوء . وقال :

— حسنا . إنني أنتظر هذه النهاية في شغف .

أجاب (دوايت) في حق :

— لن نتظر طويلا .

ثم استدار لينصرف . ولكن (أدهم) استوقفه . قائلاً في هدوء :

— لحظة أيها الرغد . لدى رسالة إلى جرتلك الهزيل

استدار إليه (دوايت) قائلاً في غضب :

— آية رسالة ؟

الطلقت قبضة (أدهم) في وجهه كالقذبة ، وهو يقول في

سخريه

— هذه

كانت اللكمة من العنف والقوة ، حتى أنها هزمت النين
من أسنان (دوايت) ، وألقت به إلى مسافة ثلاثة أمتار ، قبل
أن يسقط على ظهره ..

وتفجّر الغضب في قلوب الصقور ، واستداروا جميعا
يوافهون (أدهم) ..

وتفجرت المعركة

معركة بين عشرة صقور

ونسر ..



••

٥ — الخدعة ..

من المستحيل ، طبقا لآلية حسابات منطقية ، أن يزوم رجل
واحد عشرة رجال ، سيطر عليهم الغضب والحق إلى حد
الجنون ، ويجيدون القتال على نحو قاتل الجودة

ولكن : دعنا نناقش الأمر : من الناحية المنطقية أيضا ..
إن عامل المفاجأة وحده ، يمكنه أن يجعل رجلا قويا يتغلب
على رجلين ، أو ثلاثة من الأضداد ..

وسرعة الحركة قد ترفع هذا العدد إلى خمسة
وكون هذا الرجل هو (أدهم صري) ، المعروف بلقب
(رجل المستحيل) ، فهذا يرفع العدد إلى سبعة على الأقل ..
وهذا ما حدث بالفعل ..

لم يكّد الصقور العشرة يستديرون المواجهة (أدهم) ،
حتى كانت قبضته اليسرى قد هزمت فك أولهم ، واليمنى
تغوص في معدة ثانيهم ، وقدمه تركزل ألف ثالثهم ، وقدمه
الأخرى تحطم أسنان رابعهم ..

وفي الوقت ذاته ، لكمت (منى) الخالص في مؤخره
عنه ، وغاص كعب حداثها الحاد في لحم ساق السادس ،
وهي تلكم في أنفه ..

واندفعت فتنة (أدهم) لتلكم السابع في عطفه ، ودار
على غيبه ، ليركل الثامن في معدته ، ثم يدفع نفس القدم إلى
أعلى ، ليركله في أنفه مباشرة ..

ولكن التاسع والعاشر تمكنا من التقاط مدفعيهما .. وصوماه
إلى (أدهم) ، وأحدهما يصرخ في ثورته :

— أنت أردت ذلك أيها الرجل .. لحظ .. لحظ .. رصاصات
الصقور ..

ودوت رصاصات مدفعه الآلي في دهبز الفندق الفاخر ..

لم تصب الرصاصات (أدهم) ، لأنه تحرك متعبا عنها
بسرعة البرق ..

ولكنها أصابت (منى) ..

أصابها في كتفها اليسرى ، وذراعها اليسرى ، فتأوتت
في ألم ، وفجرت تأوهات غصبة (أدهم) ، فيهوى على فلك
الرجل بلكمة كالتصاغة ، وهو يهتف

— أيها الوغد

ثم وكل مدفع الرجل الآخر ، قبل أن يحطم أسنانه بلكمة
أخرى ، ثم يدفع نحو (منى) ، هاتفا في جزع :

— ماذا أصابك ؟

أجابته في ألم :

— لقد أصابني ثلاث رصاصات .. أو أربع .. لست
أدري ..

استفاق الملازم (براون) من ذهوله ، في تلك اللحظة ،
فهتف في جزع :

— استدعوا سيارة إسعاف .. بسرعة .. بل سيارتين ،
أو ثلاثا ، فهناك العديد من المصابين ، في مستشفى المجاذيب
هنا ..

ثم أسرع نحو (أدهم) و (منى) ، وهو يستطرد في
الأنفعا

— كيف فعلت ذلك ؟ كيف فعلته بحق الشيطان ؟
التفت إليه (أدهم) ، وقال في غضب :

— بل كيف فعلت أنت ذلك ؟ كيف أمكنك أن تأمر
باطلاق سراح عشرة أوغاد ، تعلم جيدا أنهم خالفوا كل
الأعراف والقوانين ؟

وغير (براون) في خنق ، وجلس أرحنا إلى جوار (منى) ،
 وأشعل سيجارته في عصبية ، ولوح بكفه ، وهو يقول ساخطاً :
 - لو أن الأمر بيدى ، لأطلقت النار على رؤوسهم دون
 تفكير ، ولكنها الأوامر .

ولس ركيته ، واستد يدراعيه إليها ، وهو يستطرد في
 خنق :

- لست أفهم من هو الجسور (أوكوتور) هذا ،
 ولا من هم أوغاده ، ولكننا تلقينا أوامر مشددة بمنع التعرض
 لهم ، أو اعتصافهم ، مهما كانت الأسباب ، ولست أكره في
 حياتي كلها أكثر من رؤية وغد يجرح ، يلا رقيباً أو حساباً .
 ضعفت (منى) في ألم :

- ينبغي أن تفعل شيئاً ، مادمت ترفض ذلك .

أجابها ، وهو ينقذ دخان سيجارته في خنق :

- لقد فعلت .

ثم أشار إلى (أدهم) ، مستطرداً :

- إننى لم أحاول أن أسأله من هو ؟ ولا ماذا يفعل هنا ؟

أو لماذا يرتدى زي خديم الفندق ؟ . لقد وجدت أنه من العدل

ألا أفعل ، مادمت أعجز عن استجواب خصومه .



وغير (براون) في خنق ، وجلس أرحنا
 إلى جوار (منى) وأشعل سيجارته في عصبية

ارتفع في تلك اللحظة صوت أبواق سيارة الإسعاف ،
وهي تقترب ، وتتوقف أمام الفندق ، فقال (أدهم) في
حزم :

— سنعمل على إسعاف زميلتي أولاً أيها الملازم (براون) ،
وبعدها سيكون بيتنا حديث طويل .

أوماً (براون) برأسه في صمت ، على حين وصل رجل
الإسعاف ، في زئهما الأبيض المميز ، وهما يحملان مصفحة ،
وأسرعا نحو (منى) ، وبدأ أحدهما يصفد جرحها في سرعة ،
على حين وقف الآخر يتأمل أجساد الرجال العشرة ، المعثرة في
الزحمة ، وقال في برود :

— ماذا حدث هنا ؟ .. أهى قبلة ؟

استسم الملازم (براون) ، وهو يتطلع إلى (أدهم)
مغمضاً :

— نعم .. قبلة بشرية .

تجاهل (أدهم) ملاحظته ، وهو يعاون رجل الإسعاف
على نقل (منى) إلى المصفحة ، فأسرع الرجل الآخر إلى زميله ،
وهو يقول :

— دع لي هذه المهمة يا مستر (أندريه) .

وحمل مع زميله المصفحة ، وتبعهما (أدهم) إلى المصعد .
ولكن أحدهما قال في حزم :

— لن يتسع المصعد لثلاثتنا ، فنحن نحمل المصفحة .

تطلع (أدهم) إلى (منى) في حنان ، وهو يغتم :

— لا بأس .. سأخلق بك على الفور يا عزيزتي .

غمغمت ، وهي تقاوم آلام جرحها :

— سأنتظر .

هبط المصعد في هدوء ، وغمغم (براون) :

— يبدو أن كليكما يكن للآخر حاضراً .

التفت إليه (أدهم) ، فاستطرد مبسماً :

— لست أدري ما الذي تحدثتا فيه ، فقد كنتما تتكلمان لغة

أجهلها .. العربية حسباً أظن .. ولكن نبرات عبارتيكما

كانت ناعمة هامة ، كما يفعل المحبون يا مستر ..

صمت لحظة ، ثم استطرد :

— (أندريه) .. أليس كذلك ؟ .. لقد سمعت رجل

الإسعاف يخاطبك بهذا الاسم ، و ..

قاطعته (أدهم) ، وهو يهتف بغثة :

— يا إلهي !! كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟ !

أجابته الأول في حدة .

— وجود زميله بين أيدينا سيجعله يفرح إلينا . بدلا من
أن تسعى نحن خلفه . وعندئذ سيتهل علينا الإيقاع به . و...
قاطعه زميله . وهو يتطلع إلى مرآة السيارة الخائبة . قائلا
في حرم
— استعد إذن . فلقد كشف الأمر . وهما هو ذا يعدون
نحونا .

ثم انطلق بالسيارة في سرعة .

كان (أدهم) قد اندفع عبر بوابة الفندق في تلك
اللحظة . ورأى سيارة الإسعاف تنطلق بسرعة . فانطلق يغذو
خلفها بأقصى ما يملك من سرعة . وكأنما تحول إلى آلة خاصة
للعُدو .

وإذ يحرك سيارة الإسعاف . وصرخ . وهو يحاول عبثا
الاستجابة إلى أوامر سائق السيارة . الذي ضغط دواسمة
الوقود بكل ما يملك من قوة . وكأنما يتوقع أن تقفز سرعة
سيارته . الصغير . إلى الذروة في لحظة واحدة .
وراحت السيارة تتعدهن (أدهم) . وتتعد . وتتعد .

ثم اندفع فجأة كالصاروخ . يقفز درجات السلم الفندق
هابطاً . على حين اتسعت عيناه (براون) في دهشة . وهو يب
من مكانه . هائفاً
— ماذا حدث بحق الشيطان ؟! ولكن مهلاً . كيف
حاطبه رجل الإسعاف باسمه . على حين لم أكن أنا نفسي
أعرفه ؟! يا للشيطان ؟! لقد كانت لحدة . لقد احتفظوا
زميله .

دفع رجلا الإسعاف الزائفان الحقبة . التي تعمل جسد
(منى) . داخل سيارة الإسعاف . ثم أسرعوا يقفزان في
كابينتها . وأحدهما يتلف في سخوية :
— الجترال عبقري حقاً . لقد توقع حدوث اشتباك .
واستدعاء سيارة إسعاف . وطلب منا أن نبقى في الجوار .
ولقد أثمرت خطئنا . ونجحنا في اختطاف زميلة ذلك
المتخذيلى .

عقد زميله حاجبيه . وهو يدير محرك السيارة . مغشفاً :
— المهم أن يرق ذلك ثماره . فلقد كنت أفضل اختطاف
الرجل . لا الفتاة .

١٠ وشعر (أدهم) باستحالة القول في هذا السباق الجنوني .
بينه وبين سيارة قوية ، فأعترف جانياً . والدفع نحو أول سيارة
متوقفة ، على جانب الطريق ، وحطم زجاجها بضربة قوية من
قبضته ، وفتح بابها ، ثم قفز داخلها ، ونجاهل صراخ صاحبها ،
وهو يغدو نحوه ، هاتفاً :

— أنت !! ما الذى تفعله بسيارتى ؟

وفى سرعة ، وقبل أن يصل الرجل إليه ، كان (أدهم) قد
انزع سلكى التوصل ، أسفل عجلة القيادة ، وأوصلهما على
نحو دقيق ، فدار اطرك ، وانطلق (أدهم) بالسيارة ، تاركاً
صاحبها يصرخ :

— لقد سرق سيارتى .. لقد سرقها ..

وبدأت معركة جديدة ، ومطاردة جديدة ..

مطاردة بين سيارة ، وسيارة ..

انطلقت سيارة الإسعاف غير شوارخ (ليوبورك) ، وهى
تطلق بوقها المميز ، الذى دفع كل السيارات الأخرى إلى
إفساح الطريق لها ، وهم يتصورون أنها تحمل مريضاً يحتاج إلى
إسعاف عاجل ..

وحلفها انطلقت سيارة (أدهم) فى إصرار وقوة وعناد .
وكانت مطاردة حقيقية عنيفة ، وسط شوارع أكبر مدن
القارة الأمريكية ، استمرت حتى وصلت السيارات إلى طريق
(الأوتوستراد) ، حيث أطلقت كل منهما النار لسرعتها ..
والخربت سيارة (أدهم) من سيارة الإسعاف ، فهتف
الذى يقود الأخيرة بزميله :

— أطلق النار على إطارات سيارته .. هنا .. أسرع .. قبل
أن يلحق بنا ..

هتف زميله فى تولر :

— ولكن الجنرال طالبنا بإحضاره حياً !

هتف الأول فى حق :

— أوقفه أولاً ، واستزعه من بين حطام سيارته فيما يغدو ..

اكفى زميله بهذا القول ، وانحنى خارج النافذة ، وراح
يطلق رصاصات مستسه نحو سيارة (أدهم) ، الذى راح
الرصاصات فى مهبلة ، ثم التصق بخلفيته سيارة الإسعاف ،
وهو يردّد فى غضب :

— أيها الأوغاد .. لولا أنكم تحملون أعز مخلوق إلى
قلبي ، لحولتكم إلى أشلاء ..

ثم أخرج مسدسه ، وأطلق رصاصته على زجاج السيارة
الأمامي ، فهشمته تمامًا ، وانترع بقاباه في سرعة ، وهو يواصل
انطلاقه خلف سيارة الإسعاف ، وغغم في صراخه :

— ولكن هذا لا يمنع ضرورة إيقافكم .

واخبرف بسيارته بغثة . ثم اندفع بها محاذبا سيارة
الإسعاف . وقفز من خلف عجلة القيادة ، عبر الزجاج
الأمامي للسيارة ، واستقر بقدميه فوق مقدمتها ، جزء من
الثانية ، ثم فتر قفزة هائلة . مثيرة . مذهلة ..

ورأى قائد سيارة الإسعاف (أدهم) يتدفع نحو ، كما
لو كان طائرا حرافيا .

طائرا يقفز بسرعة مائتي كيلومتر في الساعة
على الأقل .

٦ — العُصْلاق ..

لم يصدّق الصقر ، الذي يقود سيارة الإسعاف عيبه ،
وهو ينظر في دُهور . لجزء من الثانية إلى (أدهم) ، الذي
يدأ له وكأنه يطير نحو . كالـ (سومرمان) . قبل أن يعلق
بباب السيارة ، الخاور للسائق ، ويدفع قطعه عبر نافذته .
ليهبى على فك الصقر بلكمة ساحقة : صاعقة ، كالقنبلة ..

واجتمعت اللكمة مع الدُهور ، ليفقد الصقر وعيه على
القُور ، ويفقد سيطرته على عجلة القيادة ، فمالت سيارة
الإسعاف في حدة ، في نفس اللحظة التي قفز فيها (أدهم)
داخلها . ودفع سائقها بقدمه ليحتل مكانه ، على حين
استدار إليه الصقر الآخر ، وهو بصريح في شراخه

— جميل منك أن أتيت بنفسك . فلن نعطلك رصاصتي
على هذه المسافة ، ولن

ولم تكتمل عبارته ، فقد ثنى (أدهم) ركبته ، وضغطها إلى
صدره . ثم دفع قدمه كالصاروخ في معدة الرجل ، والحنى

بالمسيرة إلى اليمن في غنق ، فاحصل توازن الصقر الثاني ،
وسقط من السيارة ، وهو يطلق صرخة قصيرة ، قبل أن يرتطم
بالطريق ، بسرعة مائتي كيلومتر في الساعة ..

وأوقف (أدهم) سيارة الإسعاف إلى جانب الطريق ،
وقفز منها ، وأسرع نحو بابها الخلفي ، وتهدد في أوتياح ، حينما
وجد (منى) ترقد داخلها ، وقد استغرقت في نوم عميق ، أو
غيبوبة طويلة ، وغمغم وهو يتحسس شعرها في حنان :

— إنك على قيد الحياة على الأقل يا عزيزتي .

تحس وجهها بأنامله في عطف . ثم أسرع إلى كابينة سيارة
الإسعاف ، وأدار المحرك ، وانطلق نحو أقرب مستشفى ..

استشاط الجنرال (أوكوتور) غضبا ، حينما قصَّ عليه
ضابطه الأول (دوايت) أنباء هزيمتهم ، على يد (أدهم)
(منى) ، وضرب حائط حجرته بقبضته ، وهو يصرخ في
حنق :

— أيها الأغبياء !!! أيها الحمقى !! كيف يهزم رجل وفاء
عشرة صقور محترفين !!

أجاب (دوايت) في صيق :

— بعامل المفاجأة ، وبخط الهواة ياسيدي الجنرال ..

صرخ (أوكوتور) في غضب :

— هواة !! ..

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد في سخط :

— هؤلاء .. هذا الشيطان وزميلته ليسا أبدا من الهواة ..

إنهما محترقان .. محترقان بحق ..

أجاب (دوايت) في توتر :

— كيف ياسيدي !! .. إنهما ليسا من التحابرات المركزية ،

أو الشرطة الفيدرالية ، كما أن هذين لن يغشيا سرنا لرجال

الشرطة ، أو الجيش .. و

قاطعه (أوكوتور) في جلبة :

— إنهما محترقان ، ولن ترحضني أية قوة عن هذه العقيدة .

قلب (دوايت) كفتيه في خبرة ، وهو يغمغم :

— كما ترى يا جنرال ..

دار (أوكوتور) في حجرته لخطات ، وهو يفكر في

غلق ، ثم توقف قائلا في حزم :

— سأعود إلى (واشنطن) .. إلى القلعة .. وسأستخدم

الكمبيوتر الخاص بنا هناك ، لمراجعة ملفات كل إدارتنا



الندفع الملازم (براون) ، غير أزوقة مستشفى (نيويورك) ، حتى
التقطت عيناه وجه (أدهم) ، الذي يقف قلقاً ..

ثم التفت إلى (دوايت) ، مستطرداً في جملته :
— وسأعثر على كل ما أحاج إليه من معلومات ، عن ذلك
الحقير .

سأله (دوايت) في اهتمام :
— هل تواصل خطة القضاء عليه ؟
هتف (أوكوتور) في صرامة :
— بالطبع .

ثم أردف في غضب :
— وما زلت أكرّر .. أريده حياً .. هل تفهمنى ؟ .. حياً .

اندفع الملازم (براون) ، غير أزوقة مستشفى
(نيويورك) ، حتى التقطت عيناه وجه (أدهم) ، الذي
يقف قلقاً أمام حجرة العمليات بالمستشفى ، فأسرع إليه ،
وهو يسأله في اهتمام :

— كيف حالها ؟

تطلع إليه (أدهم) لحظة ، ثم أشاح بوجهه ، مغمضاً :
— إننى أنظر المعلومات اللازمة ، لإجابة سؤالك .

استد (براون) إلى الخائط ، ودس كفيه في جيب ستره ،
ولاذ بالصمت لحظات ، ثم سأل (أدهم) في هدوء :

— من أنت بالضبط ؟

رمقه (أدهم) بنظرة باردة ، وهو يجيب في صوت أكثر بروداً :

— (أندريه لاتور) .

هز (براون) رأسه نفياً ، وهو يقول في حزم :

— كلاً يا صديقي .. لست أسألك : من تدعى لنفسك ؟
إلا أسألك : من أنت ؟ .. وهذا يعني من أنت حقيقة ؟

غمغم (أدهم) في برود :

— هل تهتم معرفة ذلك حقاً ؟

عقد (براون) حاجبيه في حنق ، وهو يرفع عينيه إلى (أدهم) ، قائلاً في صرامة :

— اسمع يا (أندريه) ، أو آتيا كان اسمك .. صحيح أنني شرطتي عادي ، ولست أقوى في حياتي كلها سوى لعب (البلياردو) ، وقيادة الطائرات الخفيفة ، ولكن هذا لا يعني أنني رجل انهزامي خانع ، أو أنني اعتدت التسليم بكل ما يحدث حولي .. إنني في الواقع أبغض (أوكونور) هذا ورجاله ، كما لم أبغض مخلوقاً من قبل ، وسيكون أسعد أيام حياتي هو يوم أراهم حكومة من الجثث الهامدة ، وهذا يعني — باختصار ، وبكل وضوح — أنني أعمل في صفك ، وإلى جانبك .. هل يكفيك ذلك ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً في هدوء ، وقال :

— إنني أصدقك أنها الملازم ، فأنا أجيد معرفة الشرفاء عند رؤيتهم . والتعامل معهم ، ولكنني لا أستطيع حقاً أن أعبرك من أنا .. كل ما أستطيع قوله هو : أنني ضد (أوكونور) وصقوره ، وأن كل ما أسعى إليه هو تحطيمهم . سأله (براون) في شغف :

— لصالح من ؟

هز (أدهم) رأسه نفياً ، وهو يقول في حزم :

— هذا ما لا يمكنني أن أخبرك إياه .

تأمل (براون) في حيرة ، ثم غمغم :

— المخابرات المركزية غير مسموح لها بالعمل داخل البلاد .. أنت تعمل لحساب المباحث الفيدرالية إذن ؟
غمغم (أدهم) في هدوء :

— لست أميركياً .

عقد (براون) حاجبيه في اهتمام ، وهو يقول :

— نعم .. نعم .. لقد تذكرت .. لقد تحدثت إلى زميلتك

بالعربية .. أنتما عربيان إذن .. ولكن .. ما شأنكما بقطعية ذلك الطاغية (أوكونور) ؟

لم ينس (أدهم) بنيت شفة ، فقفز فصول (براون)
ودعته إلى ذروتها ، وهم بالقاء سزال آخر ، لولا أن غادر
الطيب حجرة العمليات في تلك اللحظة ، فأسرع إليه
(أدهم) . يسأله في لهفة :

— كيف حالها ؟

انضم الطيب ابتسامة باهتة . وهو يغمغم :

— لقد انزعنا كل الرصاصات من كفها وذراعها .

كانت أربع رصاصات ..

عقد (أدهم) حاجبه . وهو يسأله في قلق :

— لم لا تبدو سعيدا بنجاحك إذن ؟

تردد الطيب خطوة ، ثم غمغم في خطوات ..

— حسنا .. إنه .. إنه ذراعها .. و

بتر عبارته بغتة . فهتف به (أدهم) في جدوة :

— وماذا بالله عليك ؟

تردد الطيب مرة أخرى . قبل أن يغمغم :

— لقد أصابت الرصاصات أعصاب ذراعها اليسرى .

و

مرة أخرى بتر عبارته . فصاح به (أدهم) في خلق :

— وماذا ؟

تراجع الطيب في فزع ، وتنحج في تردد . ثم أجاب في
سرعة :

— لقد فقدت ذراعها فاعليتها ، وستصاب بشلل تام
مابقي لها من العمر .

اتسعت عينا (أدهم) في دُغر . وهتف في نوعة :

— يا إلهي !! (مني) !!

ثم تحول كل دُغره ولوعته . وتوثره إلى غضب ..

غضب هادر اكسح كيانه كله . ونطت به عروقه في
غُنف ..

وتراجع (براون) والطيب . أمام ذلك الريق الغاصب
الصارم ، الذي أطل من عيني (أدهم) . الذي بداهما حينئذ
أشبه بالعلاقات ..

علاقات الغضب



٧ - معركة رجل واحد ..

مد (براون) يده بغاية سباجثره إلى (أدهم) ، ولكن هذا الأخير بدا شامثا ، واجمًا ، وهو يقعد ساعديه أمام صدره ، ويجلس على حافة مكتب (براون) ، وقدماه تحسنان الأرض ، وبصره يسبح بعيدا في الفراغ ، فهز (براون) رأسه في إشفاق ، وأعاد العلية إلى جيبه ، بعد أن التقط منها سيجارة ، دسها بين شفتيه ، وأشعلها ، وهو يسأل (أدهم) في خفوت :

— أمازلت تشعر بالأسف من أجلها ؟

لم يجبه (أدهم) ..

بل إنه حتى لم يسمعه ..

لقد كان يفكر فيما أصاب (منى) ..

كان يشعر بالحزن الشديد من أجلها ، وبالندم ، لأنه هو الذي طالبها بمشاركته هذه المهمة ..

كم غشي — في تلك اللحظة — لو أنه لم يلتق بها أبدا ..

لم يعرفها ..

لم يجبها ..

كم غشي لو أنه اكتفى بمغامرته الأولى معها ، ثم انتبح كل منهما سبيلًا مختلفًا بعد ذلك ..

ولكنه القدر ..

قدره وقدرها ..

قدرهما الذي جمعهما في أكثر من عملية ، كان النصر في نهايتها دؤما لهما ..

قدرهما الذي ربط بين قلوبهما برباط حب لا ينقسم ، حتى مع خوفهما الدائم من الزواج منه ..

كان يسترجع في ذاكرته كل لحظة عاشها معه ..

كل الغاطر ..

كل المازق ..

كل الانتصارات ..

وخفق قلبه ، وهو يسترجع كل مهمة عاطفية تبادلها ..

لقد كانت تغضب دؤما كلما داعبها بسخريته اللاذعة ،

ولكنه أبدا لم يقصد إغضبها ..

كانت سخريته تعبيرًا عن عاطفة جياشة ، يحملها في قلبه

ها ..

كان ذوقاً بحبها ..

ولقد دمرها بحبه ..

ولكن لن يستسلم لما أصابها ..

أبداً لن يستسلم ..

لقد بدأ معركة مع (دافيد أوكونور) وصقوره ، من أجل الحصول على معلومات فائقة الأهمية لخبرات دولته ..

وكان سيذل المستحيل من أجل ذلك ..

أما الآن ، فلقد انقلبت المعركة إلى قتال شخصي ..

إلى انتقام ..

انتقام من أساءوا إلى أحب مخلوقات العالم إلى قلبه ..

وهذا يحضى بالمعركة إلى عمق جديد ..

إنها لم تعد معركة لخبرات الأمريكية ..

لم تعد معركة لخبرات دولته ..

لقد صارت معركة ..

معركته وخده ..

ولجأة التفت إلى (براون) ، وسأله في صرامة :

— هل ترغب حقاً في القضاء على (أوكونور)

وصقوره ؟

أجاب (براون) في دهشة :

— بالتأكيد ، ولكن أخبرني أولاً ، ما معنى تلك الحادثة

القاتلية ، التي أجريتها فور خروجنا من المستشفى ، غير

الخط ؟

تجاهل (أدهم) سؤاله ، وهو يستدير إليه ، قائلاً في حزم :

— هل تعلم أين يقيم (أوكونور) في (نيويورك) ؟

عقد (براون) حاجبه ، وهو يجيب :

— نعم .. إنه يقيم في الطابق الأخير من ناطحة سحاب

فاخرة ، ولكنه يحيط نفسه بسياح من الحراس الأشداء ، الذين

يمنعون أي مخلوق من الوصول إليه ، دون موعد سابق ..

أجاب (أدهم) في حزم :

— ذمك من هؤلاء الأغبياء ، وأخبرني أين يقيم ذلك

الحقير ؟

تساول (براون) ورقة ، وخط عليها بضع كلمات ، ثم

ناولها إلى (أدهم) ، قائلاً :

— هالك عنوانه

ألقى (أدهم) نظرة سريعة على العنوان ، ثم دس الورقة في

جيبه ، وهو يقول :

— والآن ، هل يمكنك أن تعبرني بضعة أسلحة صغيرة ؟
غمغم (براون) وهو يحط شفتيه :
— هذا غير قانوني .

ثم أردف في لحظة حاسمة :

— ولكن قليد هب القانون إلى الجحيم ، مادام يعجز عن
حماية المواطنين الأبرياء من هذا الطاغية وأوغاده .. ماذا تريد
بالضبط ؟

انحنى (أدغم) ، واشتد براحيه إلى سطح مكتب
(براون) ، وهو يحبب في هدوء :

— مدفعين آليين ، وثلاث قبائل يدوية ، وقبليتي ذخان ،
ومسدسًا .

رفع (براون) حاجبيه في دهشة ، وهو يتف :

— ما هذا يا رجل ؟! .. هل تنوي أن تفتح ترسانة أسلحة
خاصة ؟

اعتدل (أدغم) ، وهو يقول في صرامة ، جثمت الدماء
في عروقي (براون) ، وجعلته يحمد الله على أن هذا العملاق
يعمل في صفه :

— بل ألوى أن أشق طريقى إلى حجرة الجنرال (أوكونور)
اللعين .. الليلة .

زوى الجنرال (أوكونور) مابين حاجبيه ، وهو يجلس
داخل حجراته الخاصة ، في قلعه التي تحتل قمة جبل عال ، على
مشارف (واشنطن) ، يتابع في اهتمام الصُّور والمعلومات ،
التي تتراص في تتابع بطيء على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص
به ، والذي يحوى ما يزيد على تسعة أعشار ما يحويه كمبيوتر
المعلومات ، الخاص بالمخابرات المركزية الأمريكية .

ولم يشعر (أوكونور) بمرور الوقت ، وهو يتخصص كل
الوجوه ، ويراجع كل المعلومات ، حتى النقص جسده بغثة ،
وتألفت عيناه ، وهو يحدق في صورة ظهرت على الشاشة ،
مرفقة بمعددين من المعلومات ، فهب من مقعده ، وهو بصرخ :
— (دوايت) .

فزع (دوايت) إلى حجرة قائده ، والضمادات تغطي
وجهه ، وهتف :

— بم تأمر يا جنرال ؟

أشار (أوكونور) بأصابع مرعفة ، من فرط الانفعال ،
إلى شاشة الكمبيوتر ، هاتفاً :

— انظر .. ها هو ذا الشيطان !! .. لقد عثرت عليه .
 انعقد حاجبا (دوايت) ، وهو يتطلع إلى صورة
 (أدهم) ، ويقرأ الكلمات المدونة إلى جوارها ، والتي
 تقول :

— (أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ..
 الرتبة : مقدم .. الرمز الكودى : (ن - ١) .. قُدرات
 فائقة للعادة .. لم يتم تصنيفه ؛ نظرًا لتجاوزه الحد الأقصى
 للقُدرات المدونة .. لم يفشل في عملية واحدة حتى الآن ..
 لا ميل إلى القتل .. يجيد كل أنواع القتال بدرجة تفوق
 المصار .. يمكنه استخدام جميع أنواع الأسلحة ، في براعة
 فائقة .. يتحدث عددًا غير محدود من اللغات ، وبكل
 لهجاتها .. مطلوب حيًا أو ميتًا ، من قبل العديد من الجهات ،
 مثل : (الموساد) والـ (كى . جى . فى) ، و (المافيا)
 و (سكوربيون) .. وغيرها .. نقاط الضعف : لا توجد ..
 هتف (دوايت) في دهشة :

— مصرى !! .. وما صلة المصرىين بنا ؟

هتف (أوكولور) في القفال :

— أيها العمى .. إنه لا يعمل لحساب المخابرات المصرية



وتألفت غياه ، وهو يخلق في صورة ظهرت على الشاشة ، مرفقة
 بعدوين من المعلومات ، قهَّب من مقعده - وهو يصرخ -

بالأكيد ، فالمصريون لن يفهموا أن نسيطر على العالم ، أو حتى
أن نشق حرباً نووية على القوتين العظميين ..
سأله (دوايت) :

— حساب من يعمل إذن ؟

عقد (أوكونور) حاجيه مفكراً ، ثم غمغم في اهتمام :
— ولماذا نفترض أنه يعمل لحساب جهة ما ؟
هتف (دوايت) مستكراً :

— إنه كذلك بالتأكيد يا (جرال) ، وإلا فلماذا حاجنا ؟
رمقه (أوكونور) بنظرة صارمة ، وهو يقول :
— تذكر أننا نحن الذين حاجناه ، وأنه كان يرد على هجومنا
لحسب .

غمغم (دوايت) في خيرة :

— هل تقصد أننا نقاتل رجل مخبرات محترفاً ، بالمصادفة
البحثة ؟!

تم (أوكونور) في خفوت ، وهو يفكر في غمق :
— ربما .

ثم استعاد صوته هرامته ، وهو يستطرد :

— لقد عرفنا من هو ، وأياً ما كان الأمر ، فلقد أهاننى ،
وأهانا جميعاً ، وما زلت أريده هنا ، في القلعة ، ليحترق أمامى هنا .

انتصب (دوايت) في حزم ، وهو يقول في قوة :
— كما تأمر يا جنرال . سيحترق رجل المخبرات المصرى
على ركبته أمامك .. هنا .. في (قلعة الصقور) ..

وقف حارس ناطحة السحاب ، التى يقم في أعلاها
الجنرال (أوكونور) ، في قلب (نيويورك) ، هادئاً ، يرمق
(أدهم) ، الذى يقترب منه ، بنظرات باردة هادئة ، حتى
وصل (أدهم) إلى بوابة ناطحة السحاب ، فاعترض الحارس
طريقه ، وهو يقول في هدوء ، وبهجة مهدئة :
— لحظة يا سيدي .. إلى أين تذهب ؟

أجاب (أدهم) في برود :

— وما شأنك أنت ؟

عقد الحارس حاجيه في غضب ، وهو يقول في حزم :
— بل هو من صميم شأنى هنا أيها السيد ، فأنا حارس
البنية ، و ..

بتر الرجل عبارته فجأة ، وانسمت عيناه في دهشة ، حينما
أخرج (أدهم) يده من جيب معطفه ، وهى تحمل مسكناً
صخفاً ، صوبه إلى الرجل ، قائلاً في برود :

— وماذا ؟

تولدت عضلات الحارس ، وهو يقول في عصبية :

— لو أنه سطر مسلح ، فهو فكرة فاشلة أيها السيد . فقد
يمكنك إجبارى على فتح البوابة لك ، ولكن كل المنازل هنا
مزودة بآلات تصوير تليفزيونية خاصة ، تنقل إلى ساكنيها
صورة من يدق أبوابهم ، ولن يفتح لك أحدهم بابه ، لو أن
وجهك غير مألوف لديه .

دفعه (أدهم) أمامه في خشونة ، وهو يقول في صرامة :

— لا شأن لى بساكنيك أيها الرجل .. إننى أسمى لزيارة

الجنرال (أوكولور) الوغد فحسب .

غمغم الحارس في عصبية :

— كان ينبغي أن تحضر معك كمية مدرعات كاملة إذن ؛

فهناك خمسة عشر رجلاً يقومون على حراسة الطابق الأخير ،
الذى يقيم فيه الجنرال ، وهم يحملون دوماً مدافعهم الآلية ،
ويطلقون النار على المصنف بلا تفكير ، لو صعد إليهم دون
أوامرهم .

انسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— إنهم لن يفعلوا ذلك معى ، فسارسل لهم باقة من

الزهور أولاً .

أزداد انعقاد حاجبى الحارس ، وهو يقول في حدة :

— حسناً .. اصعد إليهم ، مادمت لا تجد وسيلة أفضل

للاتجار ، ولكننى لن أصعد معك ، فأنا أفضل الموت هنا

برصاصات مسلحك ، على أن يفتخر أقاربى عن تعرف

جسى ، أو حملها إلى قبرى ، من كثرة ما يستقر فيها من

رصاصات رجال الجنرال .

غمغم (أدهم) ساخرًا :

— ومن طلب منك أنه تصحبنى ؟ .. إنها زيارة خاصة ..

ومن غير اللائق أن اصطحب معى صديقاً ، في زيارة خاصة .

هتف الحارس ، لى مزيج من الدهشة والسخط :

— ماذا تريد منى إذن ؟

دفعه (أدهم) داخل حجرتة الخاصة ، وهو يجيب فى هدوء

ساخر :

— أريد منك أن تقم بنوم هادئ يا صديقى ، وذع الباقى لى .

وبسرعة ، وقبل أن يدرك الرجل ما يقبضه (أدهم) ، كان

هذا الأخير يخرج من جيبه منديلاً ، تفوح منه رائحة مخدر

قوى ، ويكم به أنفاس الحارس ، الذى قاوم لحظات ، ثم

استرخى جسده ، وراح فى غيبوبة عميقة ..

وفي هدوء ، حمل (أحدهم) الخارس ، وأرقده فوق
 فراشه ، ثم اتجه نحو مضعد ناطحة السحاب ، وخلع معطفه ،
 فظهر أسفله زئبه الأسود . والمدفعان الآليان ، اللذان يعلقهما
 في كتفيه ، والقنابل المعلقة في حزامه ، وحقبة صغيرة ،
 انتزعها من حول وسطه في هدوء ، ثم غمغم في حزم وصرامة :
 — استعد للقاء يا جنرال الصقور المزيلة .
 وفي حسم ، ضغط زر الطابق الأخير ..

كان رجال (أوكونور) الخمسة عشر ينتشرون في الطابق
 الأخير ، أمام باب شقة زعيمهم القاحلة ، وهم يحملون
 مدافعهم الآلية في صخر ، حينما صدر أزيز يعلن اقتراب
 المصنعد من طابقهم ، فهب الجميع في تحفز ، وارتفعت
 قوّهات مدافعهم الآلية نحو باب المصنعد ، وقال أحدهم في
 صرامة :

— يبدو أننا ننتظر زائراً غير مرغوب فيه يارفاق .

أجابه آخر في برود :

— لا يلوومني إلا نفسه إذن ، فالأوامر في هذا الشأن

محدودة .

انقسم ثالث ، وهو يجذب إبرة مدفعه ، مغمغماً في
 سخرية .

— هذا لو وجد ما يكفي من العمر ، لثوم نفسه .
 تغر الجص ، حتى أضاءت شاشة المصنعد العلوية ،
 معلنة ، وصول المصنعد إلى الطابق الأخير ، ثم ارتلق مصراعا
 المصنعد إلى الجانبين في هدوء ، ولمح الخمسة عشر رجلاً خيال
 الشخص الواقف داخل المصنعد .
 ودوت رصاصات خمسة عشر مدفعياً رشاشاً في آن
 واحد .



٨- قتال فوق السحاب ..

لم يتوقف رجال (أوكونور) عن إطلاق رصاصاتهم ، لنصف دقيقة كاملة ، حتى تحول المصعد إلى مصفاة ، من كثرة ما أصابه من الرصاصات ، وتطلع صقور (أوكونور) ، غير أدعنة مدافعهم الآلية ، إلى داخل المصعد ، واتسعت عيونهم في دهشة ، حينما تبينوا أنهم كانوا يطلقون النيران على معطف خالٍ ، معلق داخل المصعد ، وحذف أحدهم في خنق !

— ما الذي يفعله هذا ؟

صرخ آخر ، وهو يشير إلى أرضية المصعد :

— وهذا ؟!

انجهت أنظار الجميع إلى حيث يشير ، وتحولت نظراتهم إلى الدهول ، وعدم الفهم ، وهم يحذقون في باقة صغيرة من الزهور ، استقرت على أرضية المصعد ..

ثم لمح أحدهم بريقاً معدنياً ، وسط الزهور ، فراجع ، وهو يصرخ في دُعر :

— احترموا .. إنها قبلة ..

لم يكذبهم عبارته ، حتى دوى الانفجار ، واندفع صقور (أوكونور) يرتطمون بحوائط الطابق ، ويسقطون أرضاً .. على حين ارتج المصعد ، وهوى إلى أسفل كالقبلة .. وفحاة ، ومن أعلى المصعد ، قفز غير الباب المفتوح شيطان مزيد ..

شيطان يُدعى (أدهم صبرى) ..

وقبل أن يُفبق الصقور الخمسة عشر من دهولهم ، كانت رصاصات (أدهم) تجردهم من أسلحتهم ، وقبل أن يدركوا ما يحدث ، كان أنف أوليهم قد تحول إلى كومة من اللحم والعظام المفتتة ، وكان فك الثانى قد شخ إلى نصفين ، وشعر الثالث أن قبلة أخرى قد انفجرت في معدته ، على حين تحيل للرابع أن صاعقة قد هوت على مؤخرة عنقه ، فسقط فاقد الوعي ..

وهنا استعاد الصقور اليافون رشدهم ، وحذف أحدهم في غضب :

— إنه دخيل .. احجموا يا رجال ..

ومع صرخته طارت ثلاث من أسنان السادس ، وتغطمت ترقوة السابع ، ثم ألقى (أدهم) قبلة الدخان وسطهم ..

وتفجرت سحب الدخان الحارق .. وسالت الدموع من
 العيون والأنوف ، وانطلقت قبضة (أدهم) ، الذي حرص
 على التروؤد بقناع واق ، ليطيح بثامنهم ، وتفجرت قبضته الثانية
 في فلك تاسعهم ، ثم قفرت قدمه إلى معدة عاشرهم ،
 واستقرت الأخرى بين ساق الحادى عشر ..
 كان قتالاً مريعاً مدروساً ، أضيف إلى عامل المفاجأة ،
 فأفقد الصقور الزناهم ، وجعلهم يهاوؤن أمام رجل لا مثيل له
 بين البشر ..

(رجل المسحيل) ..

واندفع الأربعة الباقون ، ليقاتلوا خصمهم في ضراسة ،
 ولكن (أدهم) انتزع من حزامه قبلة يدوية ثانية ، وألقاها
 نحو باب شقة (أوكونور) الفاخرة ، فسفد ، وبعث في
 الطابق مزيداً من التروؤر ، وألقى وسط الصقور الأربعة مفاجأة
 جديدة ، جعلت ارتباكهم يتضاعف ، وجعلته ينقض عليهم ،
 فيحطم فلك أحدهم بلكمة ساحقة ، ويثبم أنف الثانى بأخرى
 ماحقة ، ويكبل للثالث لكتفين متعاقبين في معدته وفكّه ، ثم
 يقفز ، ليكمل الأخير في صدره ، ثم يعديه إليه من سترته في
 حدة ، وهو يسأله في ضرامة مخيفة :

— أين قالدكم الوغد ؟

أجابه الصقر الأخير في حدة :

— انجث عنه بنفسك

دفعه (أدهم) داخل شقة (أوكونور) في خشونة ،
 ورفع قُوْهه مدفعه الآلى الأول ، وراح يطلق رصاصاته على
 الأثاث الفاخر في سحاء ، حتى حطمه تماماً ، قبل أن يتف
 بالرجل في خشونة .

— هل تحب أن تلحق بذلك الأثاث ؟ .. أحب أو أفرغ

ماتبقى من رصاصاتي في رأسك

غمغم الصقر في حلق :

— إلك لن تخيفنى تهديدك .. الجيران ليس هنا .. لقد

رجل إلى (واشنطن) .. إلى القلعة ..

ثم استطرد في مزيج من السحرة والتوؤر :

— اذهب إليه هناك لو أردت ، فسيبعده أن تفعل

أجابه (أدهم) في برود :

— سأفعل

ثم هوى على مؤخرة عنق الرجل بلكمة قوية ، ألقت أرضاً
 فاقد الوعى ، وأطلت من عنيه نظرة شديدة الصرامة ،



ثم هوى على مؤخرة عني الرجل بلكمة قوية ، ألقت أرميها فاقد الوعي ،
وأخالت من عيني نقطة شديدة الصرامة .

وهو يرفع فؤعه مذبذبة . نحو الأثاث الباقى فى الشقة . ثم
يطلق النيران .

مطأ الملازم (براون) شقيقه لى أسف . وهو يتطلع إلى
الخراب الذى تبقى ، من شقة (أوكونور) الفاحشة ، وهز
رأسه . وهو يغمغم .

— ماذا حدث بالضبط ؟ هل انقضت عليكم مقابلة
من طراز (فانوم — ٢٠) ؟

أجابه أحد رجال (أوكونور) لى حق :
— بل هو رجل أتيا الملازم . مخرب حقير ، ونحن نحفظ
أوصافه . وسندلى بها إلى الشرطة .

غمغم (براون) لى سخرية :
— ألقم !.. أنقصه من تبقى منكم !..

عقد صقر (أوكونور) حاجبيه فى غضب ، على حين
استطرد (براون) بنفس ضججه الساحرة :

— اسمع يا رجل . لقد أشرقت بنسبى على ثقل عشرة
منكم إلى سيارات الإسعاف . لعلاجهم من كسور مختلفة .
بالأنوف والفكوك . ولن أصدق أبدا أن رجلا واحدا قد فعل
بكم كل هذا . لا ريب أنها كحية مسلحة .

هتف الصقر في حق :

— صدق أو لا تصدق .. هذا ما حدث بالفعل ، وسفد
بشكوى رجعية ، وأنت تعرف القانون ..

قاطعه (براون) في صرخة :

— القانون ١٢ .. إنني أعرفه بالطبع ، ولكن هل تعرفونه
نفسه ؟

ثم اتجه نحو الباب ، مستطردا في هجة رجل لا يغيه الأمر :

— ولكن لا بأس .. تقدموا يشكوى رجعية ، وأذلو
بأوصاف الرجل ، وسرى ما الذي يمكننا فعله في هذا الشأن .

لم يمكنه كتاب ضحكته الساخرة طويلا ، وهو بسيط

بالمصعد الإضافي إلى أسفل ، ولم يحاول حتى إخفاء انصاعه

الشائعة ، وهو يستقل سيارته ، وينطلق بها إلى منزله ، الذي لم

يكده يدخله ، حتى هتف في سعادة :

— رائع .

أناه صوت من مقعد قريب ، يقول في هدوء :

— ماذا تقصد بتلك الكلمة ؟

التفص جسد (براون) ، والترج سلسلة بحركة سريعة ،
وهو يصر زففة منزله ، وابتعث إلى مصدر الصوت ، ثم لم

— أهو أنت ١٢ .. كيف حالك يا عزيزي (أندويه) ؟

كيف دخلت إلى هنا بحق الشيطان ؟

عقد (أدغم) حاجيه ، وهو يقول في ضيق :

— لماذا تستخدم تلك العبارة المقيسة دوما

يا (براون) ؟ .. لم لاتقول (بالله عليك) مثلا ؟

ضحك (براون) ، وقال وهو يلقي جسده فوق المقعد

المقابل :

— حسنا يا صديقي .. كيف فعلت كل هذا برجال

(أوكونور) بالله عليك ؟ .. لقد حطمتهم تحطيفا ، وحولت

شقة زعيمهم الفاخرة إلى خرائب ..

غمغم (أدغم) في هدوء :

— لم يكن ماذا ؟ .. بالك من رجل متواضع .. لقد بدا

أطلق (براون) ضحكة عالية ، وهو يقول :

— لم يكن ماذا ؟ .. بالك من رجل متواضع .. لقد بدا

هؤلاء المساكين كما لو أن السماء قد هوت على رؤوسهم .

ثم مال نحوه ، وهو يستطرد في اهتمام :

— ولكن لماذا لم تطلق رصاصة واحدة عليهم ، على الرغم

من أنك كنت تحمل مدفعين رشاشين ، ومسدسين ؟

أجابه (أدهم) في صجر -
 - لم تكن هناك ضرورة إلى ذلك ، ثم إنني أكره سفك
 الدماء بلا طائل -
 حذق (براون) في وجهه بدهشته ، قبل أن يغصم في
 خيرة -
 - تكره سفك الدماء ؟! - يالك من رجل !! هل
 تنصني إلى ؟
 قاطعه (أدهم) في صرامة -
 - دعنا لا نصيب الوقت أنها الملازم ، فلما أحتاج إلى
 معاونتك -
 سأله (براون) في اهتمام -
 - ما الذي يمكنني أن أفعله لك ؟
 نهض (أدهم) من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو
 يسأله في اهتمام -
 - ما معلوماتك عن قلعة (أوكونور) في (الاستن) ؟
 رفع (براون) حاجبيه ، وهو يهتف في دهشة -
 - هل يمتلك قلعة هناك ؟
 تنهد (أدهم) ، وهو يقول :

- حسنا .. من الواضح أنك لا تعلم عنها شيئا .. دعنا
 نبذل السؤال إذن .. ما مدى استعدادك : لمعاونتي على
 القضاء على ذلك الوغد ؟
 أجابه (براون) في حماس -
 - إلى أقصى مدى ممكن -
 استدار إليه (أدهم) ، وسأله في حزم -
 - حتى ولو اقتضى ذلك سفرك غورا إلى (الاستن) ،
 بصحتي ؟
 نهض (براون) في حماس ، هاتفا :
 - حتى ولو اقتضى الأمر سقري إلى الجحيم نفسه ،
 ثم عاد يسأله في قلق :
 - ولكن ، هل مشترك زميلتك وحدها في المستشفى ؟
 اكسى وجه (أدهم) بالخرق ، وهو يغصم :
 - إنني أخشى رؤيتها ، بعد ما أصابها -
 ثم استعاد وجهه وضوئه صرافتهما ، وهو يستطرد :
 - ثم إنه هناك من سيغنيي بها بدلا مني -
 ابتسم (براون) في نخبة ، وهو يقول :
 - السفير المصري مثلا ؟!

عقد (أدهم) حاجيه في شدة ، وهو يحيب في حزم
واقضاب :

— كلاً —

أدرك (براون) من حجة (أدهم) ، أنه لا ينوي الاستطرد
في هذا الأمر ، فمطّ شقيقه في أسف ، ثم عاد يسأله في اهتمام
وحماص :

— ما الذي تريد مني أن أعاونك به ، حينما تسافر معاً إلى
(واشنطن) ؟

شرد (أدهم) بصره ، وهو يسأله في هدوء :
— لقد قلت لي من قبل : إنك تهوى قيادة الطائرات ،
فهل تحيد قيادتها أيضاً ؟

أشار (براون) إلى صدره بإبهامه ، وهو يقول في قبحر :
— إنني حاصل على وسام الشجاعة في (فيتنام) ، حيث
كنت طياراً حريثاً حينذاك ، قبل أن يتمّ تسريحى ، فور انتهاء
الحرب .

غمغم (أدهم) في أرتياح :

— عظيم —

ثم استدار إلى (براون) ، ووضع يده على كتفه ، قائلاً في
حزم :

— استعد إذن يا صديقى ، فسأصحبك الفرصة : لاستعادة
مهاراتك القتالية ، في عالم الطيران .

وازداد صوته خزماً وصرامة ، وهو يستطرد :
— سنقتض على (قلعة الشفور) — جواً .



٩ - التقرير ..

استقر (توماس ألى) ، مدير المختبرات المركزية الأمريكية ، خلف مكتبه ، فى الصباح التالى ، وراجع بعض الأوراق والفتاوى ، التى قدمتها إليه سكرتيرته ، وذهب لبعضها بتوقيعه ، ثم طلب منها الانصراف ، وهو يقول فى اهتمام :

— ابلعى (بيرت) أننى أرغب فى رؤيته على الفور .
أومات السكرتيرة برأسها فى هدوء ، وغادرت الحجره .
فنهض (توماس) من خلف مكتبه ، وراح يسير فى أرجاء حجرته بتوتر ، حتى سمع صوت طرقات هادئة على باب حجرته ، فقال فى لفظة :

— ادخل يا (بيرت) .

دخل إلى الحجره أحد الرجال الثلاثة ، الذين كانوا يرافقونه ، حينما التقى به (أدهم) فى (القاهرة) ، واتخذ نحوه فى خطوات مسرعة ، فسأله (توماس) فى لفظة وقلق :

— ما أخبر الأخبار عن (أدهم صبرى) ؟

عقد (بيرت) حاجبيه ، وهو يقول :

— ليست بالأخبار السارة يا سيدى .

هزى قلب (توماس) بين قدميه ، وهو يهمهم فى ارتياح :

— هل فكرت به (أوكوتور) ورجاله ؟

أجابته (بيرت) فى حزم :

— كلاً يا سيدى .. ليس تغد .

سأله (توماس) فى توتر :

— ماذا حدث إذن ؟

تنحى (بيرت) ، ثم قال فى اهتمام :

— لقد كانت الخطة تسير كما يرام ، وأثار ذلك المصرى

اهتمام (أوكوتور) ، تماماً ، كما قدونا ، وكان من الممكن أن

يؤذى هذا إلى إعجاب (أوكوتور) به . إلى الحد الذى يجعله

يعرض عليه الانضمام إلى صفوفه ، لولا أن قطع المصرى

السيبل إلى ذلك ، وتحوّل فجأة إلى العداء العلى ضد

(أوكوتور) ، حتى أنه هاجم شقيقه القاهره فى (نيويورك) ،

ولقّن رجاله درساً قاسياً ، وحطّم الشقة على بكره أبيها

هتف (توماس) فى ذهول :

— ولماذا فعل ذلك ؟

أجابه (بيوت) في استكار :

— انشأنا لزميله .. لقد تسبب رجال (أوكونور) في إصابة ذراعها اليسرى بالشلل ، ويبدو أن ذلك المصري مُعزوم بها للغاية ، حتى أنه تجاهل كل القواعد ؛ ليتقم لها .

ثم مطأ شفتيه ، وهو يستطرد في ازدياء :

— لقد كنا نظنه رجلاً قوياً ، لا شأن لعمله بمواطنه .

عقد (توماس) حاجبيه ، وهو يغمغم في صرامة :

— ما زال أفضل رجل مخبرات في رأيي يا (بيوت) .

ثم اتجه نحو نافذة حجرته ، وراح يتطلع منها إلى الطريق بعض الوقت . قبل أن يستطرد في اهتمام :

— إن هذا الرجل لم يحسر عملية واحدة في حياته كلها يا (بيوت) ، على الرغم من أنه قد واجه منظمات تنير الرعب في قلوب الجميع .. حتى نحن ، وتاريخه يؤكد أنه رجل بالغ الذكاء ، يكره دوماً التفيد بالخطط الموضوعية مسبقاً ، ويفضل أن ينتهج أسلوبه الخاص ، وهذا الأسلوب يبدو أحياناً عجيباً .

مثيراً للغيظ والحنون ، ولكنه يفلح دائماً .

عغمم (بيوت) في اهتمام :

— هل تعتقد أنه سينجح في مهمته ياسيدى ، على الرغم

من كل هذا ؟

صمت (توماس) لحظة ، قبل أن يجيب في خفوت :

— أنتقم ذلك .

وان الصمت لحظات ، قبل أن يقول (بيوت) في قلق :

— ولكنى ما زلت أشعر بالضييق والسخط ياسيدى ،

لأننا نستعين بضابط مخبرات مصرى ، سيتاح له التعرف بعض

ومالنا ، وسيؤسفنى كثيراً أن أمتحه قائمة جواسيس وعملاء

(الموساد) في الشرق الأوسط .

ثم (توماس) في تولثر :

— ذغة يتجح أولاً في مهمته ، ويقضى على (أوكونور)

وصغوره ، وبعدها ..

صمت بغتة ، قبل أن يتم عبارته ، فسأله (بيوت) في

فضول :

— وبعدها ماذا ياسيدى ؟

أطرق (توماس) برأسه أرضاً ، وهو يقول في صيق :

— لا يروق لى ماتحتمه الأمور يا (بيوت) ، ولكن هذا

المصرى — فور نجاح مهمته — سيتحول إلى شوكة في حلقنا

مدى الحياة ، ولكننا سنمهد له السبل ، حتى يتجح في

مهمته ، وبعدها .. وبعدها ..

رُدُّد الكلمة الأخيرة أكثر من مرة ، قيل أن يحسم أمره ،
ويستطرد في حزم :

— مستغله .. ولدفن معه أسرارنا .

الاسم (بيوت) في هدوء ، وقال :

— نعم يا سيدي .. هذا أفضل الحلول .. مستغله .

* * *

ألقي (أوكونور) جسده فوق مقعده الوثير ، داخل قلعة
الخصيفة ، وهو يخف في مزيج من الدُّهول والارتعاج :

— ماذا ؟! .. حطمت شقة (نيويورك) ؟!

أجاب (دوايت) في مرارة :

— نعم يا جنرال .. لقد باغت رجالنا ، وألقى عليهم

القنابل ، ثم اقتحم الشقة ، ودشروا ثنائيا .

راغت عينا (أوكونور) ، وهو يغمغم في مرارة :

— هل حطمت حجرة نومي ، التي اتعتها بربع مليون

دولار ؟

أوما (دوايت) برأسه إيجابيا ، فعاد (أوكونور) يغمغم في

الم :

— وحوض الأسماك الكبير ؟

مرة أخرى أوما (دوايت) برأسه إيجابيا ، فازيد وجه
(أوكونور) ، وأطل من عينيه غضب هائل ، وهو يصرخ :

— الحقير !!

وضرب بقبضته مستند مقعده في ثورة ، وهو يصرخ :

— سيدفع ثمن ذلك ، سيدفع ثمن كل قطعة أثاث حطمتها

في منزلي ..

وهب من مقعده ، وهو يسأل (دوايت) في غضب :

— هل أعددت لي التقرير ، الذي طلبته عنه ؟

ناوله (دوايت) ورقة كبيرة ، وهو يقول :

— ها هو ذا يا جنرال .. لقد جمعت فيه أسماء كل خصوم

ذلك المصري ممن لا يزالون على قيد الحياة ، ويعرفون أدق

الدقائق عنه .

اختطف (أوكونور) التقرير من يده ضابطه ، وقرأ الأسماء

المدونة به في سرعة ، ثم توقف عند اسم معين ، وهو يزوي

بأعين حاجبيه ، مغمضا في دهشة :

— هل هذا الاسم صحيح ؟

أجاب (دوايت) في ثقة :

— بالتأكيد يا جنرال .. كل الأسماء المدونة بالتقرير

صحيحة .

تحم (أوكونور) في حيرة ، وهو يعيد قراءة الاسم
— عجباً !!

ثم رفع عينيه إلى (دوايت) ، مستظرفاً في حزم :
— حاشي نقول إننا ستجد غاييتنا ، عند ذلك الاسم
نحمهم (دوايت) في احترام :
— بالتأكيد يا جنرال .

أشار (أوكونور) إلى الاسم في انفعال ، قائلاً :
— إذن ، فلتحد مع خصم الشيطان هذا يا (دوايت) ،
فهو سيوصلنا إلى نقطة ضعفه ، وعندئذ :
برقت عيناه يريق وحشاً شرساً ، وارتسمت على شفتيه
انصامة صفراء ، وهو يستطرد في بطله ولذذ :
— عندئذ أختبئ عنقه ، وبكل سرور .

غادر الملازم (براون) نادى الطيران في (واشنطن) ، في
خطوات سريعة ، واتجه نحو سيارة عادية المظهر ، تنظر أمام
النادى ، وجلس على المقعد المجاور لسائقها ، وهو يقول لهذا
الأخير في اهتمام :

— لقد استأجرت طائرة هذا المساء ، ولكن المعلومات
التي عرفتها عن قلعة (أوكونور) ، تجعلني أرشح من الآن .

وأخرج من جيب معطفه ورقة مطوية ، قرأها ، وراح يقرأ
ما فيها . قائلاً في اهتمام شديد :

— إن المجال الجوي المحيط بالقلعة ، منطقة محظورة ،
لا يجوز اجتيازها إلا بالنسبة لحامل التصاريح الخاصة . وهي
مقامة فوق قمة جبل وغر ، يبلغ ارتفاعه كيلومترين عن سطح
الماء . تبت فوقه أشجار كثيفة ، تجعل تسلقه في حكم
المستحيل . وقتته كلها محاطة بأسلاك مكهربة ، يجري فيها تيار
كهربى ، تبلغ قوته ألف (فولت) . وارتفاعها ثلاثة أمتار .
وهناك دوريات من الحرس المسلح تجوب المكان ليلاً نهاراً .
وآلات تصوير تليفزيونية تشاركهم ، وهناك ترخيص بقتل كل
من يقترب من القلعة ، براً أو جواً ، دون موافقة قاطنينا .
باختصار ، إن اقتحام ذلك المكان مستحيل .

تجاهل (أدهم) كل تلك المعلومات ، التي يعلمها جيداً من
قبل ، وهو يسأل (براون) في هدوء :
— وماذا عن تقرير الأحوال الجوية لهذا اليوم ؟
مط (براون) شفتيه ، وهو يقول :

— ستكون السحب مع الغروب ، وتحجب ضوء القمر
والنجوم في المساء ، وهناك احتمال سقوط أمطار في الفجر .

اسم (أدهم) ، وهو يطلق بالسيارة ، قائلا
— إنها ليلة جميلة إذن .

ارتفع حاجبا (براون) ، وهو عطف في دهشة :
— ليلة جميلة ؟ أى جمال في هذا يا رجل ؟

اتسعت انشامة (أدهم) ، وهو يقول :

— الجمال في هذا هو أن الليلة تعد مثالية ، بالنسبة لمن
يتوي التسلل إلى القلعة ليلا ، دون أن يفصح ضوء القصر ، أو
تكشفه النجوم .

همهم (براون) بعبارة ساخطة ، قبل أن يقول في حدة :
— إنهم لا يحتاجون لضوء القصر ، لكشف المتسللين ، فهناك
جهاز رادار يعملو القلعة ، وسيكشفون وصولنا ، فور دخول
طائرتنا الصغيرة إلى مجاهم الجوى .

أجاب (أدهم) في هدوء :

— ليس حينما تكون على ارتفاع ثلاثة كيلومترات
يا صديقي

عطف (براون) في دهشة واستكاز

— كيف يمكننا التحام القلعة إذن . لو أننا سنحلق على
ارتفاع ثلاثة كيلومترات ؟

أجاب (أدهم) في ثقة ، وبساطة :

— لن نتحطم بالطائرة يا صديقي ، بل سأهبط إليها .

اتسعت عينا (براون) ، وهو عطف في دُعر :

— هل تفضي ... ؟

قاطعه (أدهم) في حزم :

— نعم يا صديقي ، سأتحطم (قلعة الصفور) وخذى

وعظلة مربوط فقط .



١٠ - الهبوط إلى الجحيم ..

ارتفع أوزير الطائفة الصغيرة ، وهى تخلق فوق
(واشتطن) ، فى طريقها إلى (قلعة الصقور) ، يقردها
الملازم (براون) : الذى شعر بقلق وتوتر بالغين ، حيناً بدأ
(أدهم) يرتدى مظلة الهبوط فى ذراعيه ، ويعقد حزامها
حول وسطه ، فسأله فى حدة :

— هل أنت واثق من أنك ستجرح عفرتك ؟

أجاب (أدهم) فى هدوء ، وهو يفحص مسدسه :

— لن تكون الحسائر جسيمة ، لو أنسى لم أفعل
يا صديقى .

هتف (براون) فى حلق :

— هذا ما نظنه .

اتسم (أدهم) فى صمت وهدوء ، فاستطرد (براون)

فى انفعال :

— إنك تقدم على عمل انتحارى يا رجل ، ولست غفلت

سوى مسدس ومدفع آلى ، وخمس قنابل يدوية .. صدقنى إنه
انتحار .. هل تعلم كم رجلاً داخل تلك القلعة اللعينة ؟

أجاب (أدهم) فى هدوء :

— ما يقرب من ثمانين رجلاً .

صاح (براون) فى سخط :

— ونصراً على الهبوط وحدك ، على الرغم من ذلك ؟؟

غمغم (أدهم) :

— إنها فرصتنا الأخيرة .. والرجيدة .

مط (براون) شففيه فى حلق ، وهو يغمم :

— تقصد أنها فرصتك أنت .

قال (أدهم) فى هدوء :

— لا فارق يا صديقى .. المهم أن ننتهى من (أوكلور)

ورجاله الأوغاد .

رأى الصمت لحظة ، ثم هتف (براون) :

— هل سبق لك أن فعلتها ؟

سأله (أدهم) :

— ماذا تفنى ؟

أجاب (أدهم) فى اهتمام :



فقد كان يعلم أن (أدهم) في طريقه إلى المبوط
في قلب بركان .. بركان من الجحيم ..

— أغنى هل سبق لك أن اقتحمت بجفرك قلعة منيعة ؟

ابسم (أدهم) ، وهو يقول في بساطة :

— كلاً .. ليس إلى هذا الحد .

عاد (براون) يحط شفتيه في خنق ، وهو يغمغم :

— يالك من رجل !!

ثم استطرد في جدية :

— استعد .. إننا الآن نغرق (قلعة الصقور) .. سأدور

حولها دورة أخيرة ، ثم نفلز .

غمغم (أدهم) في هدوء ..

— لا بأس ..

وانجبه إلى باب الطائرة الصغيرة ، وهو يحتف بـ (براون) :

— اعتن بنفسك ..

غمغم (براون) في حرارة :

— أنت أجدر مني بهذه النصيحة .

ثم عاد يلزم الصمت ، فقد كان يعلم أن (أدهم) في طريقه

إلى المبوط في قلب بركان .. بركان من الجحيم ..

تقدم (دوايت) ، في خطوات ثابتة ، نحو قائده ، ووقف

أمامه مؤذناً النحية العسكرية ، وهو يقول :

— عتبرا على خصم ذلك الشيطان أيما اخترا
نالقت عينا (أوكونور) في الفعل ، وهو يتف
— هنا : في (واشنطن) ؟

أجابه (دوايت) :
— كذا يا جبرال : في (ماريس) ، ولقد أجرينا
الصالاتنا ، وسهل إلى هنا مساء الغد .
اسم (أوكونور) في ظفر ، وهو يقول في ارتياح :
— عظيم : إنها اللبة الأولى ، في تعش ذلك الشيطان
المصري : إنني
قاطعه بفتة صوت زلين مثير : أعقبه صوت أحد رجاله
يقول

— طائرة دخيلة ، مجهولة الهوية ، تحلق على ارتفاع ثلاثة
كيلومترات .

عقد (أوكونور) حاجبيه ، وهو يميل نحو يوفى الاتصال ،
قالا في حجة آمرة .

— نبرها بتحديد هويتها ، وإلا أطلقنا عليها صواريخنا
للتصادة للطائرات على الفور .
ثم هب من مقعده ، والدفع خارجا ، ليتابع ما يحدث عن
قرب ، وهو يقول في غضب :

— ويل له ؛ لو أنه ذلك المصري .
تبعه (دوايت) ، وهو يتف في حماس :

— ولماذا تترك أنفسنا نهباً للشك والخبرة يا سيدي ؟
فلنطلق الصواريخ عليها مباشرة .

غمغم (أوكونور) في سخط :
— يالك من غبي ! .. وماذا لو أنها ثقيل مندوبنا ريباً ،
أو ماشابه ؟ .. أتريد أن تحلب لنا عذاء الجصع ؟ ..

هتف (دوايت) :

وماذا لو أنه ذلك الشيطان ؟

أجابه (أوكونور) في حزم :

— عندئذ سيقرب .. وستقطه .

نقل جهاز اللاسلكي ، في طائرة (أدهم) و (براون) ،
صوت رجل المراقبة الجوية ، في (قلعة الصقور) ، وهو يقول
في حزم :

— لقد التقطت أجهزتنا طائرتكم ، حددوا هويتكم ، أو
نطلق عليكم صواريخنا الدفاعية .
غمغم (براون) في سخط :

— يبدو أن أجهزتهم أكثر تطورًا مما كنا نعتقد .. لقد
التقطت وجودنا .

قال (أدهم) : وهو يشير إليه بكفه :

— حاول أن تصيغ الوقت ، حتى أقفز ، ثم ابتعد من هنا
بأقصى سرعة .

(رفر (براون) في خنق ، وهو يغمغم :

— ما الذي جعلني أفقد عقلي ، وأتبعك إلى هذا الجحيم .

ثم فتح جهاز الاتصال ، وهو يقول في صوت رجل
مرتبك :

— هنا طائرة التدريب (إكس ٩٠٠) .. لقد تلفت

توصلة طائرتي . ولم أغد أدري أين أنا .. أرجو تحديد موقعي
واتجاهي :

أناه الجواب على الفور :

— إلى طائرة التدريب (إكس ٩٠٠) .. أنت على خط

طول (٧٧ °) . وخط عرض (٣٧ °) .. وهذه منطقة
مخطورة .. ابتعد فورًا ، أو نطلق النار .

هاتف (براون) في تولر :

— هل يمكنكم تحديد اتجاهي ؟

أناه الجواب على الفور أيضًا :

— أنت تتجه إلى الشمال الشرقي ، بزاوية ثلاث وأربعين

درجة .. حافظ على اتجاهك ، وستصل إلى مطار (واشنطن) .
غمغم (براون) :

— شكرًا .. سأطيع أوامركم على الفور .

ثم أغلق الاتصال ، وهو يستطرد في تولر :

— حيا .. أقفز الآن ، ولكن خذار ، فمظلة الهبوط

تفقد قاعيتها ، إذا ما صارت المسافة ، التي تفصلك عن
الأرض ، أقل من الثلاثة متر ..

اتصم (أدهم) ، وهو يقول :

— اطمئن ..

ثم قفز من الطائرة بلا تردد ، فغمغم (براون) ، وهو

يبتعد بالطائرة :

— ياله من رجل !

سبح جسد (أدهم) في الهواء طويلاً . وهو يهوى من

ارتفاع ثلاثة كيلومترات إلى الأرض ، واخترق السحب ،

فلاحق له (قلعة الصقور) من أسفل ..

وواصل هبوطه ، وهو يدرس القلعة بعينه الخبيرتين ،

المدرّسين ، في إثنان ، وهو يعلم — علم اليقين — أن الزادار
 لن يلتقط أبدا هبوط جسده ، قبل أن يفتح مظّله ..
 وتناقصت المسافة في سرعة ، حتى صارت كيلومترا
 واحدا ، فنصف الكيلومتر . فثلثائة متر ..
 وهنا جذب (أدهم) حبل مظّله .. وعاد يحميه مرة
 أخرى في قوّة وغنّف ..
 وكان جسده يهوى في سرعة مخيفة ،
 ولكن مظّله لم تستجب ، ولم تفتح ..
 لم تفتح أبدا .

[انتهى الجزء الأوّل ، وبليه الجزء الثّاني]
 (أجنحة الانتقام)

المؤلف



أدلى فاروق

رجل

المستحيل

سلسلة

روايات

بوليسية

للجاسوس

زاهية

بالأحداث

المثيرة

قلعة الصقور

- ما الذى دفع الخبايا المكنونة الأمريكية، إلى المتعانة به (أدهم صبرى) هذه المرة؟
- من هو (دافيد أوكونور)؟ وما طبيعة ذلك الطريق الذى يتزعمه، والمعروف باسم (صقور أوكونور)؟
- كيف يواجه (أدهم صبرى) وحده (صقور أوكونور)؟ وهل يتجح فى اقتحام (قلعة الصقور)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم : أجنحة الانتقام